سرديات الخطاب القرآني

بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم

د. محمد مشرف خضر
أستاذ النقد الأدبي المساعد بجامعة أم القرى وجامعة طنطا

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

٢١٢
م . خ

خضر، محمد مشرف .

سرديات الخطاب القرآني ج١ بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم /

محمد مشرف خضر .- ط١.- دسوق : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع ،

٣٤٢ ص ؛ ١٧.٥ × ٢٤.٥سم .

تدمك : 4 - 398 - 308 - 977 - 978

١. ديانات .   أ - العنوان .

رقم الإيداع : ٢٤٨٤ -٢٠١٣.

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة

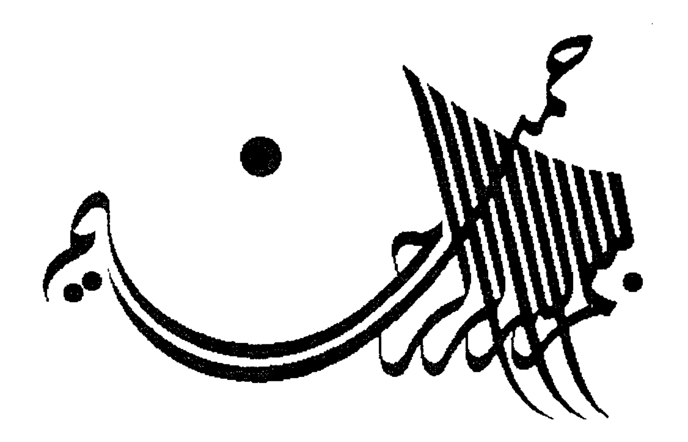
هاتـف : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ - فاكس: ٠٠٢٠٤٧٢٥٦٠٢٨١

E-mail: *elelm_aleman@yahoo.com*
elelm_aleman@hotmail.com

2013

بلاغة السرد القصصي





مقدمة

لازمني هاجس البحث عن الخصائص المميزة للقصص القرآني، منذ وقت بعيد، فلم يتركني قط إلا وتملكني من جديد. كلما مرت بي قصة من القرآن، أشرعت قلمي متحفزا، ثم سرعان ما يذهب الحماس مع الكلمات الأولى، التي لا تنبئ بجديد غير ما قدم الآخرون. وكنت مقتنعا دائما بضرورة تغيير منهج النظر في القصة القرآنية، ليؤتى بنتائج جديدة- لن تكون هي الأخرى غير اجتهادات تنضاف إلى غيرها- ولما كان المنهج السائد في هذا الصدد هو المنهج الانطباعي، الذي يحاول القارئ من خلاله تفسير مشاعره تجاه القصة، أو تقديم انطباعاته حولها... فإن التغيير كان يعني إيجاد منهج مغاير في طبيعته للمنهج السائد، منهج لا يعطي انطباعات ذاتية خالصة، بل يحاول- قدر الإمكان- أن يقدم نتائج موضوعية، من خلال دراسة علمية صارمة.

وكان هذا كله ينطبق على المنهج البنيوي، منذ بداياته لدى الشكليين الروس Les Formalistes Russes الذين تحدثوا في شروط الأدبية، متسائلين عما يجعل من عمل ما عملا أدبيا.. ودارت من ثم دراسات كثيرة حول هذا المحور، لكنها لم تكتمل إلا في منتصف

الستينيات تقريبا مع الشكلية الجديدة، في فرنسا، كما يتجلى في مجموعة المقالات المهمة التي تضمنها العدد الثامن من المجلة الفرنسية **Communication** الذي كان صدوره عام ١٩٦٦ يمثل فتحا جديدا في مجال الدراسات الأدبية، وبعثا لروح الدعوة القديمة (لدى الشكليين) إلى الدراسة العلمية للأدب، ومنذ ذلك الحين بدأ العمل حثيثا من أجل الوصول إلى منهج علمي صارم، تخضع له الأعمال الأدبية، وتُرى من خلاله. ولكن الأدب بطبيعته يرفض الخضوع لصرامة منهج أيا كان؛ فكانت تلك الدراسات تمثل اجتهادات متناثرة، يجمع بينها الاهتمام الواضح بالبنية النصية للحكي.

وتستمر الاجتهادات، ولكنها هذه المرة تسعى نحو هدف آخر، هو التخلص من دعوى الصرامة العلمية التي سادت مع الشكلية الجديدة. ومع بداية السبعينيات ظهرت نتائج محققة في هذا الصدد، وبدأ الحديث عن الشعرية **La poétique** التي تهتم بجماليات الإبداع الأدبي، وتلغي الحد الفاصل بين البنية ومحتواها، وظهرت أعمال في تحليل الخطاب السردي، تُعنى بدراسة كيفية ظهور مكونات النص، وخصائصها المميزة، التي يتميز من خلالها عمل أدبي عن آخر، هذه الأعمال تجتمع لتكون ما يمكن أن نسميه بالمنهج السردى البنيوي؛

لاهتمامها بتحليل السرد من ناحية، ولقيامها على المنهج البنيوي من ناحية أخرى.

وقد ظهر لي أن هذا المنهج في صورته تلك، ونظرا لاعتماده الأساسي على وصف مكونات العمل الأدبي- هو منهج ملائم لتلك الرغبة الملحة في دراسة القصة القرآنية؛ خاصة وأنه لا يصادر أدبية العمل، مما يفتح المجال- المحدود بطبيعة الحال- أمام الانطباعات الذاتية للظهور... وكانت المرحلة التي استقر عليها المنهج لدى كل من جنت Genette وتودوروف Todorov من العوامل التي حفزتني إلى الشروع في هذا البحث.

وحين بدأت العمل، كان في ذهني خاطر واحد، هو: البحث عن الخصائص الأدبية الكامنة في النص القصصي القرآني، باعتباره نصا أدبيا فحسب؛ أحاسبه على هذا الأساس، وأشتغل عليه من هذا المنطلق. لكنني أبدا لم أفلح في هذا، ولم أُوَفَّق إليه؛ كانت هناك دائما منطقة مقدسة، عندما أصل إليها لاأستطيع التحرك؛ أتوقف، وأستغفر الله؛ وأعود لأبدأ من جديد.

وإذا كانت الشعرية تلغي الحد الفاصل بين النص ومحتواه، فإننا في هذا البحث سنفصل بينهما في محاولة لفهم تلك الوحدة في العمل الأدبي، الذي نتناوله من خلال مظهريه: من حيث هو قصة، ومن حيث هو قول أو خطاب.

وهكذا ينقسم عملنا إلى قسمين أساسيين، ندرس في القسم الأول: القصة القرآنية بوصفها متنا حكائيا، بما يعني مجموع الأحداث المتصلة فيما بينها، وتمثل مادة أولية للحكاية الواقعة من أشخاص. وكان هذا يتطلب منا أن نعود إلى أوائل هذا القرن، لنراجع مع فلاديمير بروب منهجه في دراسة القصة، بدءًا من ضرورة الاعتماد على بنائها الداخلي، وانتهاء إلى ما كان يطمح في الوصول إليه، من وصف للحكاية وفق مكوناتها الأساسية، وعلاقة هذه المكونات ببعضها من ناحية، وأحدها بالآخر من ناحية أخرى. ودراسة المتن الحكائي تدور حول محورين: المحور الأول- الأحداث، التي احتفظنا لها بتسمية بروب (الوظائف) أي الأفعال التي تقوم بها الشخصيات. والمحور الثاني- الشخصيات التي تقوم بهذه الأحداث أو تؤدي هذه الوظائف، وما بينها من علاقات، ودوافع تدفعها إلى فعل م. تفعل.

وحين بدأنا في تجميع الوظائف وتفصيلها، ربما كان الهدف من وراء ذلك هو الوصول إلى تركيب نهائي تتماهى فيه تلك الوظائف لتنتج القصة الكاملة من خلال متتاليات الوظائف المختلفة، ولكن النتيجة كانت على غير ما توقعنا؛ فجاءت كل متتالية وظيفية تعطي قصة وحدها، يختلف هدفها عن غيرها من المتتاليات الوظيفية، فكان من المستحيل أن نعيد توزيع الوظائف، بعد أن نخرجها من سلاسلها، لنجعل منها قصة مكتملة كما كنا نتوقع، فإن الأمر هكذا يصبح ضربا من السذاجة ينأى بنا عن الموضوعية العلمية التي نبحث عنها؛ ومن ثم فقد اكتفينا في الفصل الأول من الكتاب بأن نحدد هدف كل متتالية وظيفية، معتبرين استقلاليتها، وكان اختلاف تلك الأهداف مؤشرا واضحا على تغير قصدية القصة من سياق إلى آخر.

وفي القسم الثاني، ندرس القصة القرآنية بوصفها خطابا، ذا شكل خاص يتوجه به سارد إلى مسرود له. وقد تناولنا هذه الخصوصية من خلال المنظومة الثلاثية: الزمن، والصيغة، والرؤية السردية. حيث تنشأ خصوصية الزمن من العلاقة بين زمن القصة وزمن الخطاب. وخصوصية الصيغة من طريقة التنوع الخطابي في النص. وخصوصية الرؤية السردية من طبيعة العلاقة بين المتكلم والنص.

وفي طول الدراسة كان عملنا منصبا على القصة القرآنية في شكلها الأساسي، كما وردت في الكتاب الكريم، أما ما سوى ذلك من تأويلات مختلفة حفلت بها كتب التفاسير، فلم يكن لنا به إلا علاقة الاستضاءة فحسب، وهذا لا يعني بحال أننا أهملنا تلك الكتب. بل على العكس كانت أمامنا دائما، خشية الوقوع في دائرة الخطأ التي حذرنا منها رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، حيث قال فيما يرويه الترمذي: [مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ] وكان اعتمادنا في الأساس على: تفسير القرآن العظيم، وقصص الأنبياء لابن كثير، والتفسير الكبير للرازي، وروح المعاني للألوسي، والكشاف للزمخشري، والظلال لسيد قطب، والأساس في التفسير لسعيد حوّى... ولكن طبيعة البحث كانت تفرض علينا دائما العودة إلى النص القرآني؛ فهو بحث في بنية القصة القرآنية، يبدأ منها وينتهي إليها؛ محاولا- قدر إمكانه- تقديم وصف دقيق لها، من خلال اعتماده على آليات البحث السردي.

وبعد فنرجو لهذا البحث أن يكون خالصا لله تعالى وحده، ونستغفره من زلة وقعنا فيها بغير قصد، ونتوب إليه.

أم القرى، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م د. محمد خضر

مدخل

إلى دراسة السرد القصصي

هذا مدخل لابد منه؛ فمنذ عهد قريب بدأنا نسمع عن بلاغة السرد، وبدأت منذ ذلك الحين بعض دراسات تظهر على استحياء متوسلة بهذا المنهج، الذي هو وريث شرعي للبنيوية التي طغت فيها الصرامة العلمية على الروح الأدبية. فكانت الشعرية **La poétique** من ثم تمثل عودة محمودة نحو الأدبية، أو البحث في جماليات النص الأدبي.

وتعود نشأة الشعرية إلى بدايات القرن الماضي، حين نادى بها الشكليون الروس علما جديدا للأدب، موضوعه هو أدبية الأدب، أو ما يجعل من عمل ما عملا أدبيا على حد قول جاكوبسون[1]. وقد اجتهد الشكليون في البحث عن الأنساق البنيوية في الحكاية، مثال ذلك ما فعله " بروب " في كتابه " مورفولوجيا الحكاية الخرافية "[2] الذي درس فيه الحكاية اعتمادا على بنائها الداخلي؛ بتفكيك بنيتها، واستنباط العلاقات التي تربط مختلف الوظائف الحكائية في مسار قصصي معين، ومن ثم استنتج ما سماه المثال، أو النموذج الوظيفي؛ حيث رأى أن

الحكاية تحتوي على عناصر ثابتة هي أفعال الشخصيات، أو الوظائف التي تقوم بها، وأخرى متغيرة هي أسماء تلك الشخصيات وأوصافها، أما الوظائف فهي المهمة، وهى التي تمنحنا في النهاية البنية الوظيفية للحكاية، أو النموذج الوظيفي. وأما أسماء الشخصيات وأوصافها فتأثيرها هامشي. المهم هو ما تقوم به الشخصية، لا الشخصية نفسها.

وقريب من ذلك نجد تمييز توماشفسكي- المهم جدا- في العمل الحكائي بين ما سماه بالمتن الحكائي، والمبنى الحكائي، حيث يسمي " متنا حكائيا مجموع الأحداث المتصلة فيما بينها، والتي يقع إخبارنا بها خلال العمل.... وفي مقابل المتن الحكائي، يوجد المبنى الحكائي الذي يتألف من الأحداث نفسها بيد أنه يراعى نظام ظهورها في العمل كما يراعي ما يتبعها من معلومات "[٣].

وسوف يتضح لنا مدى أهمية هذا التمييز الذي وضعه توماشفسكي بين المتن الحكائي والمبنى الحكائي حين نصل إلى السردية المعاصرة، أو حين نأخذ في التحليل السردي للقصص القرآني، حيث يمثل التمييز بين المتن الحكائي والمبنى الحكائي في القصة مرتكزا أساسيا لا يمكن للبحث أن يقوم بدونه.

ومنذ ذلك الحين بدأ ما يمكن أن نسميه الدراسة العلمية للأدب، لكن لم يكتب لها الاستمرار- لأسباب سياسية، ترجع إلى علاقة الشكليين بالسلطة الروسية آنذاك- إلى أن جاء البنيويون في منتصف القرن، فأخذوا تراث الشكليين وظلوا به إلى أن وصل على أيديهم، في وقت قصير جدا، إلى مكانة ربما لم يكن يحلم بها أصحابه أنفسهم؛ يتجلى هذا في العدد الثامن من المجلة الفرنسية Communication سنة ١٩٦٦ الذي يضم أسماء مثل بارت Barthes وتودوروف Todorov وجنت Genette... فنرى بارت في مقاله " مدخل إلى التحليل البنيوى للقصص " يستعيد عمل بروب ويعتمد عليه في مستوى الوظائف الذي اقترحه ضمن مستويات تحليل السرد؛ فيقول: " ونقترح للتمييز في العمل السردي بين مستويات ثلاثة من الوصف: مستوى الوظائف (بالمعنى الذي يعطيه كل من بروب وبريمون Bremond للكلمة) ومستوى الأفعال (بالمعنى الذي يعطيه لها جريماس Greimas عندما يتحدث عن الأشخاص بوصفها فواعل) ومستوى السرد الذي يمثله مستوى الخطاب عند تودوروف Todorov "[٤]

والوظائف عند بارت Barthes على طبقتين: توزيعية (Unités distributionnelles) وهي تتوافق مع وظائف بروب التي

أعاد بريمون استخدامها حديثا، وهذا النوع يحتفظ له بارت باسم " الوظائف " وهناك أخرى إدماجية (Unités intégratives) وهي وحدات معنوية؛ لأنها- كما يقول- تحيل على مدلول وليس على فعل، ومن ثم فلا تحتاج في إدراك دورها إلى فعل لاحق، وهي على العكس من الأولى تكثر في أنماط السرد الأكثر تعقيدا، بينما تكثر الأولى في الحكايات الشعبية[٥]. وعلى عكس بروب يرى بارت أن التسلسل المنطقي- لا الزمني- بين الوظائف، والوحدات الحكائية هو الذي ينبغي أن يكون الأداة الحقيقية لدراسة تركيب الحكي[٦].

ونجد تودوروف Todorov معتمدا على تمييز توماشفسكي السابق بين المتن والمبنى في العمل الحكائي، يميز هو الآخر بين القصة والخطاب، ويرى أنه لفهم وحدة العمل ذاتها ينبغي عزل هذين المظهرين، والبحث في مكونات كل منهما. فدراسة السرد من حيث هو قصة تعني دراسة منطق الأفعال الروائية؛ إذ إن تتالي الأفعال لا يكون اعتباطيا في سرد ما، إنما يخضع لمنطق معين[٧]، فينبغي البحث عن هذا المنطق. وهذه الأفعال تقوم بها شخصيات ينبغي كذلك دراسة العلاقات فيما بينها. أما السرد بوصفه خطابا فيفرق Todorov طرائق الخطاب بين مجموعات ثلاث: زمن السرد الذي يعني البحث عن العلاقة بين

زمن القصة وزمن الخطاب. ومظاهر السرد أو الكيفية التي تدرك بها القصة من طرف السارد. وصيغ السرد التي تتوقف على نوعية الخطاب المستعمل من قبل السارد في نقل القصة[8]. وبذلك أسهم الرجل في تحقيق البرنامج الطموح للشعرية الجديدة المتمثل في التوصل إلى تصنيف مجرد لمقولات ثابتة للسرد[9].

وكذلك جنت Genette لا يبعد كثيرا عما فعل تودوروف من اعتماد على تراث الشكليين الروس، وخصوصا توماشفسكي، ومستعينا كذلك بتمييز بنفنيست Benveniste بين القصة والخطاب، لوضع نظريته في تحليل السرد التي يتضمنها كتابه " محسنات ٣: Figures III " فيبدأ بتحديد المصطلحات التي يقترحها: مطلقا اسم القصة على المدلول، أو المضمون السردي... واسم الحكاية على الدال، أو المنطوق، أو الخطاب، أو النص السردي نفسه، واسم السرد على الفعل السردي المنتج، ومن ثم يرى أن مستوى الخطاب السردي وحده من بين المستويات الثلاثة هو الذي يقدم نفسه مباشرة للتحليل النصي[10]. وتحليل الخطاب السردي كما يرى: هو في الأساس- دراسة العلاقات بين الحكاية والقصة، وبين الحكاية والسرد، وبين القصة والسرد[11].

وينطلق جنت من اقتراح تودوروف الذي سبقت الإشارة إليه، والذي يصنف بنية الحكاية إلى مقولات ثلاث: الزمن، وفيه يدرس العلاقة بين زمن القصة وزمن الخطاب، ومقولة الجهة (مظاهر السرد) أو الكيفية التي يدرك بها السارد القصة. ومقولة الصيغة، أي نمط الخطاب الذي يستعمله السارد... وهو وإن كان يتبنى مقولة الزمن كما هي عند تودوروف فإنه يرى أن يعدّل كثيرا في المقولتين الأخريين، بحيث إنه " يجب إعادة تجميع ما كان يوزعه تودوروف بين الجهة والصيغة، في مقولة واحدة ضخمة نسميها مؤقتا مقولة أنماط التمثيل أو درجات المحاكاة "[12].

وبعد كل الجهد المبذول في استيعاب نظريات السرد نعترف أنه من الصعب أن نقول إن ثمة منهجا بعينه نستطيع من خلاله تحليل القصة القرآنية، فإننا منذ الشكليين الروس (إيخنبوم ١٨٨٦- ١٩٤٨، وتوماشفسكي ١٨٩٠- ١٩٥٩، وتينيانوف ١٨٩٤- ١٩٤٣، وجاكوبسون ١٨٩٥- ١٩٣٨، وشكلوفسكي ١٨٩٣- ١٩٨٤....) وسعيهم الدؤوب وراء البحث عن الخصائص النوعية للأدب، ومن ثم اهتمامهم بدراسة الأعمال الإبداعية في ذاتها دون النظر إلى ما هو خارجي عنها... ومرورا بأعمال البنيويين الذين اهتموا بالتحليل البنيوى للحكي كما رأينا مع أصحاب

مجلة Communication حتى نصل إلى جنت Genette وكتابه: " محسنات ٣: Figures III " الذي يمثل دون شك مرحلة متميزة في تاريخ تحليل الخطاب الحكائي، وثم من تلاه مقتفيا أثره كشلومبت كنعان في كتابها " التخييل القصصي: الشعرية المعاصرة " وميك بال في مقال لها حول السرد والتبئير (Poétique 29)- أو من تلاه ناقدا إياه ومعيبا عليه بعض هنات وقع فيها في كتابه المذكور، مما دعاه لأن يضع كتابه " الخطاب الجديد للحكاية " سنة ١٩٨٣ يرد فيه عليهم، وأيضا يراجع فيه نفسه، ويعدل من آرائه.

كل هذا، وكثير غيره، يزيد الأمر صعوبة، وبخاصة حين لا نجد اثنين يتفقان في طريقة التحليل، فكل شخص تؤثر عليه معارفه، ويؤثر فيه تخصصه[١٣]... مما يوحى بأننا أمام عدة مناهج في التحليل، وهذا يتطلب منا أن نحدد اتجاهنا بصرامة من البداية؛ فنرى أن نمسك بالخيط منذ الشكليين الروس، ومع بروب حيث سنعتمد منهجه في دراسة القصة من حيث هي محكي، بدءا من ضرورة الاعتماد على بنائها الداخلي، وانتهاء إلى ما كان يطمح في الوصول إليه من " مورفولوجيا " أو وصف للحكاية وفق مكوناتها الأساسية، وعلاقة هذه المكونات ببعضها من ناحية، وأحدها بالآخر من ناحية أخرى؛ ثم مع الشكليين الجدد

نعمق بحث الحكاية من خلال بارت Barthes، وتصوراته حول التحليل البنيوى للقصص، وتمييزه بين المستويات الثلاثة: الوظائف، والأفعال، والسرد، المترابطة فيما بينها ترابطا اندماجيا تصاعديا، إذ الوظيفة تفصح عن دلالتها في حقل الفعل، الذي لا يكون بدوره ذا معنى إلا ضمن الخطاب الذي يغذيه بشفرته. وكذلك من خلال تصور تودوروف Todorov الذي قدمه في دراسته لمقولات الحكى ١٩٦٦ وميز فيه- من ناحية السرد القصصي من حيث هو محكي، أو من ناحية دراسة المتن الحكائي بتعبير توماشفسكي- بين مستويين، هما: منطق الأحداث، من جهة، والشخصيات وعلاقاتها، من جهة أخرى.

أما من ناحية السرد القصصي من حيث هو خطاب، فأمامنا التصور الذي قدمه تودوروف Todorov كذلك في مقولات الحكي، والمتمثل في المنظومة الثلاثية للتحليل السردي- من حيث هو خطاب- وهى: الزمن، والجهة، والصيغة. هذه المنظومة التي تبناها Genette في كتابه " محسنات ٣: Figures III " ووصل بها إلى درجة من الوضوح والاستقرار، تجعلنا نعتمد عليها في شيء من الاطمئنان، مستضيئين ببعض التجارب العربية التي سلكت هذا المسلك.

ونرى أن نحدد المصطلحات التي سيأتي استعمالها في الدراسة؛ وأولها السرد، وهو يقابل (La narration) في الفرنسية الذي يعني المنطوق السردي لحكاية ما سواء أكان شفاهيا أم كتابيا[14]، ونجد في لسان العرب في مادة سرد " السرد في اللغة تقدمة شيء إلى شيء تأتي به متسقا بعضه في إثر بعض متتابعا. سرد الحديث ونحوه يسرده سردا إذا تابعه... والسرد المتتابع " وهناك السرد القصصي ونحن نعده مقابل (Le récit) في الفرنسية، أي الطريقة التي تُروى بها القصة. وفي مادة قصص في لسان العرب نقرأ " ويقال: قصصت الشيء إذا تتبعت أثره شيئا بعد شيء " وهذا قريب مما قيل في السرد مع اختلاف قليل هو أن السرد يحتمل أن يكون قصصيا أو غير قصصي لهذا احتفظنا للكلمة (Le récit) بالسرد القصصي، هذا والكلمة (Le récit) في الفرنسية تتكون من متن حكائي ومبنى حكائي في آن، أي أنها محكي وخطاب معا؛ إنها القصة بكاملها: شكلا ومضمونا؛ واستعملنا كلمة قصة بمعنى المتن الحكائي، وكلمة خطاب (Discours) بمعنى الطريقة التي يُروى بها الخبر[15].

أما من ناحية القصة موضوع التطبيق- القصة القرآنية؛ فنحن في أي وقت من الأوقات لا نستطيع أن نفصل بين الكلمتين (القصة-

القرآنية) إنما يكون النظر إلى القصة على أنها قرآنية، ولذلك خصوصية مهمة، سنحتاج إلى التذكير بها مرة بعد مرة؛ فهي قصة لها أهدافها، التي ترجع إلى طبيعة الكتاب الكريم، فهو كتاب دعوة، والقصص فيه كذلك وسيلة من وسائل الدعوة، ففي كل مرة نذكر فيها قصة جديدة سنكون بحاجة إلى القول: إنها جاءت لأهداف تحققها، وغايات تسعى إليها: ﴿ فَاقْصُص الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) ﴾ الأعراف ﴿ وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ سورة هود ١٢٠ ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ سورة يوسف ١١١.

الهوامش:

1- Roman Jakobson, Huit questions de poétique, tr. Fr. Paris, Ed. Du Seuil, coll. Points, 1977, P.16

٢- يمثل هذا العمل ذروة إنجازات البحث الشكلي، وواحدا من أكثر الإسهامات الشكلية فعالية في نظرية الأدب القصصي. انظر Paul Perron: في مقاله: السردية: حدود المفهوم، ترجمة عبد الله إبراهيم، مجلة الثقافة الأجنبية، العدد الثاني، السنة ١٢، ١٩٩٢، ص: ٢٧، وفي العدد نفسه: Roger Silverstone في مقاله: في السرد (من وجهة نظر بروب وغريماس وليفي شتراوس) ترجمة كاظم سعد الدين. ويعقد Jean-Michel Adam فصلا في كتابه Le récit يتحدث فيه عن تأثير كتاب بروب في المسار المعرفي الغربي، وذلك منذ ظهور أول ترجمة له في أمريكا بعد ثلاثين عاما من تأليف صاحبه له. انظر الصفحات: ٥- ٨، ٢٤- ٢٩.

٣- الشكلانيون الروس: نظرية المنهج الشكلي. ترجمة إبراهيم الخطيب. مؤسسة الأبحاث العربية، ط١ ١٩٨٢، ص: ٣٥.

4- Roland Barthes, Introduction à L'analyse structurale des récits, Paris, éd .Du Seuil, coll.Points, 1981, P.12

5- Ibid. P.14

6- Ibid. P.18

7- Tzvetan Todorov, Les catégories du récit Littéraire, Communications n°8, éd. du Seuil, coll. Points, 1981, P. 137

8- Ibid. P.144 - 145

٩- انظر: روجيه فابول: نحو علم للأدب، اتجاهات النقد المعاصر، ترجمة محمد خير البقاعي، مجلة العرب والفكر العالمي، العدد السابع، بيروت .١٩٨٩

10- Gérard Genette, Figures III, Paris, éd.du Seuil, coll.Poétique, 1972, P. 72 - 73

11- Ibid.P.74

12- Gérard Genette, Figures III, Paris, éd.du Seuil, coll.Poétique, 1972, P.75

١٣- يقول ميشيل فوكو بهذا الصدد: " إننا لا نستطيع بحق تحديد البنيوية كمنهج. ذلك لأنه من الصعب جدا ملاحظة وجه الشبه بين الطريقة البنيوية لتحليل القصص الشعبية عند بروب وبين طريقة تحليل الأنساق الفلسفية عند جيرو. أو وجه الشبه بين تحليل الفنون الأدبية عند فرايد بأمريكا وبين تحليل

الأساطير عند ليفي شتراوس. " وذلك في محاضرة بعنوان " البنيوية والتحليل الأدبي " ألقاها بنـادي الطـاهر الحداد في تونس عام ١٩٦٧، ونشرت بترجمة محمد الخماسي، في مجلـة العـرب والفكـر العـالمي، العـدد١، لعام ١٩٨٨. وانظر أيضا، زكريا إبراهيم: مشكلة البنية، طبعة مكتبة مصر، بدون تاريخ، ص: ٢٤

14- **Gérard Genette, Figures III, P. 71 & Oswald Ducrot – Jean Marie Schaeffer: Nouveau dictionnaire Encyclopédique des science du langage, Paris, éd.du Seuil, coll.Points, 1995, P. 710**

١٥- ونشير بهذا الصدد إلى أننا سنستعين كثيرا بالترجمة التي قدمها كل من: محمد معتصم، وعبد الجليـل الأزدي، وعمر حلي لجانب من كتاب **Genette**: " **Figures III** " المسمى " خطاب الحكاية، بحث في المنهج " ط٢ القاهرة ١٩٩٧. وبخاصة في نقل المصطلح إلى العربية. وكذلك بسعيد يقطين في كتابـه: تحليـل الخطاب الروائي، ط١ ١٩٩٨، وصلاح فضل في كتابه: بلاغة الخطاب وعلم النص، الكويت، ١٩٩٢

القصة والسرد

السرد القصصي

السرد القصصي، كما يدل الاسم، يتفرع إلى قسمين كبيرين، هما: القصة (بمعنى المتن الحكائي) والسرد (بمعنى المبنى الحكائي) أما الأول فيتعلق بالأحداث والشخصيات، وأما الثاني فيتعلق بتنظيم تلك الأحداث في نسق خاص، بكيفية خاصة، من خلال سارد يتوجه به إلى مسرود له.

المتن القصصي في القرآن الكريم

إن دراسة القصة بوصفها متنا حكائيا، فذلك يعني دراسة مجموع الأحداث المتصلة فيما بينها، وتمثل مادة أولية للحكاية الواقعة من أشخاص. ودراستنا للمتن الحكائي إذن لن تخرج عن هذين المحورين:

المحور الأول- الأحداث، وقد احتفظنا لها بتسمية بروب (الوظائف) ويقصد بالوظيفة: " فعل ما لشخصية من الشخصيات، تم

تحديده من وجهة نظر دلالته داخل جريان الحبكة "[1]. والوظيفة تمثل عنصرا ثابتا في الحكاية، ولأنها تصف تفاعل الشخصيات، أي تصف أفعال السرد وأوضاعه معا، فإن ما هو مهم في دراسة القصة- فيما يرى بروب- هو التساؤل عما تقوم به الشخصيات، وليس السؤال عمن فعل هذا الفعل، أو كيف فعله؛ فتلك أسئلة لا يمكن طرحها إلا باعتبارها توابع فحسب[2].

والمحور الثاني- الشخصيات التي تقوم بهذه الأحداث أو تؤدي هذه الوظائف، وما بينها من علاقات، ودوافع تدفعها إلى ما تضطلع به من أفعال.

ولنبدأ بتحديد المصادر التي سوف نعتمد عليها في الحصول على (المتن الحكائي) لقصصنا القرآني؛ إنه النص القرآني ذاته، هو السرد القصصي في القرآن منقطعا عما عداه من تأويلات، أو إسرائيليات، أو غير ذلك... القصة كما وردت في الكتاب الكريم فحسب، بكل خصوصياتها. وإن ثمة بنية محايثة للقصة يمكن عزلها بقصد الوصف، كما يرى بروب. على أن مسألة فصل تلك البنية المحايثة- وهى مسألة شائكة ربما لاتصالها بوجه من الوجوه بتلك الثنائية القديمة: اللفظ والمعنى- هي مسألة فصل إجرائي فحسب يعين على دقة الدراسة مع احتفاظنا

للبنية بحقها في الاكتمال الذاتي، فليس هناك مبنى ومعنى وإنما هناك بنية مكتملة تحمل معناها الخاص.

البنية الوظيفية

قصص آدم عليه السلام

يرد هذا القصص في مواضع كثيرة من الكتاب الحكيم، ونحن في هذه الدراسة نتتبع هذا القصص في أكثر مواضعه تفصيلا، واصفين البنية الوظيفية الخاصة بكل موضع. واضعين في الاعتبار- دائما- ترتيب نزول السور القرآنية الكريمة.

أ- في سورة ص (٣٨):

١- إخبار الله الملائكة بخلق آدم (٧١- ٧٢)

٢- سجود الملائكة، وامتناع إبليس (٧٣- ٧٦)

٣- طرد إبليس (٧٧- ٧٨)

٤- طلبه الإنظار إلى يوم البعث، وإجابته إلى طلبه (٧٩- ٨٣)

٥- وعيد الله لإبليس وأتباعه (٨٤- ٨٥)

تبدأ الأحداث بطلب صاحب الوحي، تبارك وتعالى، إلى الرسول الكريم ﷺ، أن يعلن أن العلم الذي يعلمه موحى به إليه من ربه، ولولا هذا الوحي ما كان ليعلم من أمر تلك القصة شيئا؛ ومن ثم يأخذ في سرد أحداثها: من إخبار الله الملائكة بخلق آدم، ثم سجود الملائكة وامتناع إبليس، ثم طرد إبليس، وطلبه الإنظار إلى يوم البعث وإجابته إلى طلبه، ثم وعيد الله لإبليس وأتباعه.

ب- في سورة الأعراف (٣٩):

١- سجود الملائكة، وامتناع إبليس (١١- ١٢)

٢- طرد إبليس (١٣)

٣- طلبه الإنظار إلى يوم البعث، و إجابته إلى طلبه (١٤- ١٧)

٤- وعيد الله لإبليس وأتباعه (١٨)

٥- سكنى آدم وزوجه الجنة، ونهيهما عن شجرة فيها (١٩)

٦- إغواء الشيطان لهما (٢٠- ٢٢)

٧- الخطيئة والتوبة (٢٢- ٢٣)

٨- الهبوط إلى الأرض (٢٤)

تبدأ الأحداث بسجود الملائكة وامتناع إبليس، وما كان من نتائج هذا الامتناع من طرد له، ووعيد منه بإغواء آدم وذريته. ثم تعرض لسكنى آدم وزوجه الجنة ونهيهما عن شجرة فيها؛ ومن ثم يتحقق لإبليس ما أراد من إغواء لآدم وذريته، فكانت الخطيئة وكانت التوبة.

فإذا كنا في سورة (ص) نجد سردا لقصة آدم وإبليس الغرض منه إثبات الوحي، فنحن هاهنا نجد شيئا آخر أحدثه إحلال وظائف لم تكن موجودة من قبل مثل سكنى آدم وزوجه الجنة، وإغواء الشيطان لهما.... إنها قصة العداوة بين آدم وإبليس تفصلها الوظائف المعروضة التي تبدأ برفض إبليس السجود، وتنتهي بتأكيد العداوة مع الهبوط إلى

الأرض ﴿ قَالَ اهْبطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ(٢٤) ﴾ [سورة البقرة].

جـ- في سورة طه (٤٥):

- تقديم/ إجمال القصة: نسيان آدم (١١٥)

ثم تفصيل:

١- سجود الملائكة وامتناع إبليس (١١٦)

٢- تحذير آدم من عداوة إبليس (١١٧- ١١٩)

٣- إغواء الشيطان لآدم (١٢٠)

٤- الخطيئة والتوبة (١٢١- ١٢٢)

٥- الهبوط إلى الأرض (١٢٣- ١٢٦)

تتحدد هنا مهمة السرد منذ البداية ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى ءَادَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥) ﴾ فهي قصة النسيان (نسيان آدم) ويسير السرد على هذا النحو، فتبدأ الأحداث بسجود الملائكة وامتناع

إبليس، ثم يأتي التحذير لآدم من عداوة إبليس- وهي وظيفة جديدة هنا- لئلا يخرجه من النعيم إلى الشقاء؛ لكنه ينسى؛ فيكون الشقاء.

د- في سورة الإسراء (٥٠):

١- سجود الملائكة وامتناع إبليس (٦١)

٢- طلبه الإنظار إلى يوم البعث وإجابته إلى طلبه (٦٢)

٣- وعيد الله لإبليس وأتباعه (٦٣)

٤- إرشاده إلى سبل الغواية، وإخباره بعصمة عباد الله (٦٤- ٦٥)

تبدأ الأحداث بسجود الملائكة وامتناع إبليس، واستكباره أن يسجد لمخلوق من طين، مبديا حقده عليه لتكريم الله إياه، فيطلب من الله التأخير إلى يوم القيامة، ليريه كيف أن هذا المخلوق من الضعف حتى أنه لن يثبت أمام إضلاله له واستحواذه عليه- إلا القليل- فيجيبه الله إلى طلبه ويبشره بجهنم ومن اتبعه! وليفعل كل ما بوسعه؛ فلا سلطان له على عباد الله يمكنه من تغيير ما في قلوبهم من إيمان.

فالقصة تعرض حقد الشيطان على الإنسان لتكريم الله إياه من دونه وتفضيله عليه، وتعرض من ثم سبل الشيطان إلى غواية الغاوين ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا (٦٤) ﴾.

هـ- في سورة الحجر (٥٤):

- تقديم: خلق الإنسان من صلصال، والجان من نار (٢٦- ٢٧)

ثم تفصيل:

١- إخبار الله الملائكة بخلق آدم (٢٨)

٢- سجود الملائكة وامتناع إبليس (٢٩- ٣٣)

٣- طرد إبليس (٣٤- ٣٥)

٤- طلبه الإنظار إلى يوم البعث، وإجابته إلى طلبه (٣٦- ٣٨)

٥- وعيد الله لإبليس وأتباعه (٣٩- ٤٤)

بعد مقدمة سريعة تعرض للفارق الأساسي بين الإنسان والجان، وأن لكل منهما طبيعته التي تعود إلى مادة خلقه يبدأ تفصيل الأحداث: من إخبار الله الملائكة بخلق آدم، ثم سجود الملائكة وامتناع إبليس أن يسجد لبشر من صلصال من حمإ مسنون بينما هو مخلوق من نار السموم، ثم ما كان من طرد إبليس، وطلبه الإنظار إلى يوم البعث وإجابته إلى طلبه، وإخبار الله له بعصمة عباده، إنما سلطانه على الغاوين ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) ﴾.

و- في سورة البقرة (٨٧):

١- إخبار الله الملائكة بجعله خليفة في الأرض (٣٠)

٢- إعداد آدم للخلافة (٣١- ٣٣)

٣- سجود الملائكة وامتناع إبليس (٣٤)

٤- سكنى آدم وزوجه الجنة، ونهيهما عن شجرة فيها (٣٥)

٥- إغواء الشيطان لهما (٣٦)

٦- التوبة (٣٧)

٧- الهبوط إلى الأرض (٣٨- ٣٩)

تبدأ الأحداث بإخبار الله الملائكة بجعله خليفة في الأرض؛ وتنتهي بإيجاد هذا الخليفة، مرورا بمجموعة من الوظائف المتعلقة بأمر الاستخلاف دون غيرها، مما يأتي في سياقات أخرى؛ فنجد الحديث عن منزلة آدم، وتكريمه بأمر الله الملائكة أن يسجدوا له، مع إلماحة سريعة إلى إباء إبليس دون التعرض لنتيجة هذا الإباء... ثم إسكان آدم وزوجه الجنة، ونهيهما عن شجرة فيها، أزلهما الشيطان عنها، وتوبة الله على آدم، ثم هبوطه إلى الأرض خليفة كما أراد له الله.

تعقيب

نلاحظ كيف أن حضور بعض الوظائف أو غيابها يؤثر في تغيير الصورة التي تأتي عليها القصة في كل مرة: فمرة هي عرض لقصة آدم وإبليس، ومرة هي قصة العداوة بين آدم وإبليس، وثالثة هي قصة نسيان آدم، ورابعة هي قصة حقد الشيطان على آدم، وخامسة هي قصة التباين بين آدم وإبليس، وسادسة هي قصة الاستخلاف في الأرض.

في كل مرة نجد قصة جديدة، أثرا لحضور وظيفة أو غياب أخرى، مما يؤثر في المتتالية الوظيفية، ويغير من ثم منطق ترابطها، فيصير المعنى إلى معنى آخر.

قصص نوح عليه السلام

بالنظر إلى البنية الوظيفية لقصص نوح عليه السلام في مواضعه الأكثر تفصيلا في كتاب الله الحكيم، نجد أنها:

ا- في سورة القمر (٣٧):

١- تكذيب قوم نوح (٩)

٢- استنصار نوح بربه (١٠)

٣- إهلاك المكذبين، ونجاة المؤمنين (١١- ١٤)

تحكي الأحداث- في إيجاز شديد- ما وقع بقوم نوح من عذاب، جزاء تكذيبهم واجترائهم على نبيهم عليه السلام؛ بدءا بحدث التكذيب، فاستنصار نوح بربه، ومن ثم يأتي وصف ما حاق بقومه من العذاب، وما لحق به من نعمة ربه بإنجائه مما لحق بقومه.

ب- في سورة الأعراف (٣٩):

١- إرسال نوح والدعوة إلى عبادة الله وحده (٥٩)

٢- تكذيب قومه (٦٠- ٦٤)

٣- نجاة المؤمنين، و إهلاك المكذبين (٦٤)

تحكي الأحداث قصة الدعوة إلى الله، وما يصاحبها من جدال وتكذيب وعقاب.

جـ- في سورة الشعراء (٤٧):

- مقدمة: تكذيب قوم نوح (١٠٥)

- ثم تفصيل:

١- دعوة نوح لهم إلى تقوى الله وطاعته (١٠٦- ١١٠)

٢- استكبارهم وتهديدهم له (١١١- ١١٦)

٣- نجاة المؤمنين، و إهلاك المكذبين (١١٧- ١٢٢)

يبدأ السياق بتقديم يحدد اتجاه القصة ﴿ كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) ﴾ ومن ثم تفصل الأحداث قصة قوم دأبهم تكذيب الرسل، وما كان من موقفهم تجاه نبيهم الذي قنط من إيمانهم، فدعا عليهم؛ فجاءت النهاية في إيجاز سريع.

د- في سورة يونس (٥١):

١- تحدي نوح لقومه (٧١- ٧٢)

٢- تكذيب قومه (٧٣)

٣- نجاة المؤمنين، وإهلاك المكذبين (٧٣)

تحكي الأحداث قصة تحدي نوح عليه السلام لقومه، في عرض مختصر- وفي نهاية رسالته- أن يفعلوا ما بوسعهم إن كانوا قد ضاقوا به وبدعوته، أما هو فقد توكل على الله ربه.

هـ- في سورة هود (٥٢):

١- إرسال نوح، والدعوة إلى عبادة الله وحده (٢٥- ٢٦)

٢- تكذيب قومه له، وطلبهم إيقاع العذاب بهم (٢٧- ٣٦)

٣- الأمر بصناعة الفلك (٣٧- ٣٩)

٤- الطوفـان (٤٠- ٤٣)

٥- نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين (٤٤- ٤٩)

تبدأ الأحداث بإرسال نوح عليه السلام، وتكذيب قومه له وثبوتهم على كفرهم، ومن ثم الأمر بصناعة الفلك، وبعد ذلك تأتي تفاصيل أحداث الطوفان، وما بعد الطوفان.

و- في سورة نوح (٧١):

١- إرسال نوح، والدعوة إلى عبادة الله (١- ٤)

٢- تكذيب قومه له (٥- ٢٣)

٣- إهلاك الكافرين (٢٤- ٢٥)

تبدأ الأحداث بإرسال نوح عليه السلام، ثم تحكي تفاصيل الشكوى إلى الله من قوم كافرين، يصرون على كفرهم، وكأنه يعتذر إلى الله حيث لم يستطع هدايتهم. ومن ثم غرقهم فإدخالهم النار دون تفصيل.

ز- في سورة المؤمنون (٧٤):

١- إرسال نوح، والدعوة إلى عبادة الله وحده (٢٣)

٢- تكذيب قومه له (٢٤- ٢٦)

٣- الوحي بصناعة الفلك (٢٧)

٤- نجاة المؤمنين، و إهلاك الكافرين (٢٧- ٣٠)

تبدأ الأحداث بإرسال نوح عليه السلام، ثم تعرض لتمادي قومه في سخريتهم به، حتى استنصر ربه فنصره.

ح- في سورة العنكبوت (٨٥):

١- إرسال نوح إلى قومه (١٤)

٢- لبثه فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما (١٤)

٣- إهلاك الكافرين، و نجاة المؤمنين (١٤- ١٥)

تبدأ الأحداث بإرسال نوح عليه السلام، وتحكي قصة صبره الطويل على دعوته لقومه، و لم تُجْد هذه المدة الطويلة شيئا مع قومه.

تعقيب

في كل المتتاليات الوظيفية التي تمثل قصص نوح، نجد وظائف ثابتة تتكرر في كل مرة، وأخرى غير ثابتة، أما الثابتة فهي:

١ـ إرسال نوح عليه السلام والدعوة إلى عبادة الله وحده.

٢ـ تكذيب قومه له.

٣ـ نجاة المؤمنين، و إهلاك الكافرين.

وأما الأخرى، فيؤثر حضورها أو غيابها في تغيير الصورة التي تأتي عليها القصة: فمرة هي قصة العذاب الذي وقع بقوم نوح جزاء تكذيبهم، وثانية هي قصة الدعوة إلى الله، وثالثة هي قصة قوم مكذبين، ورابعة هي قصة تحدي نوح لقومه، وخامسة هي قصة الطوفان، وسادسة هي قصة الشكوى إلى الله، وسابعة هي قصة انتصار الله لنبيه، وثامنة هي قصة الصبر الطويل على الدعوة.

قصص هود عليه السلام

ا- في سورة القمر (٣٧):

١- تكذيب عاد (١٨)

٢- وقوع العذاب (١٨- ٢١)

تحكي الأحداث، في إيجاز شديد، ما وقع بقوم هود من عذاب، جزاء تكذيبهم.

ب- في سورة الأعراف (٣٩):

١- إرسال هود، والدعوة إلى عبادة الله وحده (٦٥)

٢- تكذيب قومه، وطلبهم العذاب (٦٦- ٧١)

٣- نجاة المؤمنين، وإهلاك المكذبين (٧٢)

تحكي الأحداث موقف قوم من الوحي؛ حين استكبروا وكذبوا وسخروا، فعوقبوا وأهلكوا.

جـ- في سورة الشعراء (٤٧):

- مقدمة: تكذيب عاد (١٢٣)

- ثم تفصيل:

١- دعوة هود لقومه (١٢٤- ١٣٥)

٢- تكذيب قومه له (١٣٦- ١٣٩)

٣- إهلاك عاد (١٣٩)

يبدأ السياق بمقدمة تحدد اتجاه القصة من البداية ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) ﴾ ثم تفصل الأحداث قصة قوم مكذبين، مع حرص رسولهم على هدايتهم.

د- في سورة هود (٥٢):

١- إرسال هود والدعوة إلى عبادة الله وحده (٥٠- ٥٢)

٢- تكذيب قومه له (٥٣- ٥٤)

٣- تحديه لهم (٥٤- ٥٧)

٤- نجاة المؤمنين، و إهلاك الكافرين (٥٨- ٦٠)

تحكي الأحداث، في تفصيل، ما كان من تحدي هود لقومه بعد أن أيس منهم، وما كان بعد ذلك من إهلاكهم ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠) ﴾.

هـ- في سورة الأحقاف (٦٦):

١- إنذار هود لقومه (٢١)

٢- تكذيب قومه واستعجالهم العذاب (٢٢- ٢٣)

٣- إهلاك عاد (٢٤- ٢٥)

تحكي الأحداث قصة قوم جاهلين؛ أنذروا فكذبوا، ورأوا العذاب فحسبوه غيثا؛ فهلكوا بجهلهم.

تعقيب

نلاحظ أن الوظائف الثلاث الثابتة في قصص نوح عليه السلام، تتكرر هاهنا كذلك، وهي هنا أيضا ثابتة في كل المتتاليات الوظيفية:

١- الإرسال والدعوة إلى عبادة الله وحده.

٢- التكذيب.

٣- نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين.

وهناك وظائف أخرى متغيرة، يؤثر حضورها في تغيير المتن الحكائي؛ ليأتي كما رأينا في صور مختلفة: فمن حكاية صورة العذاب، إلى موقف القوم من الوحي، إلى قصة قوم مكذبين، إلى قصة تحدي هود لقومه، إلى قصة الجهل الذي يعمي الأبصار والبصائر.

قصص صالح عليه السلام

ا- في سورة القمر (٣٧):

١- تكذيب ثمود (٢٣- ٢٩)

٢- وقوع العذاب (٣٠- ٣١)

تحكي الأحداث ما وقع بثمود من عذاب جزاء تكذيبهم.

ب- في سورة الأعراف (٣٩):

١- إرسال صالح والدعوة إلى عبادة الله وحده (٧٣- ٧٤)

٢- تكذيب قومه له (٧٥- ٧٦)

٣- عقر الناقة وطلب العذاب (٧٧)

٤- إهلاك الكافرين (٧٨- ٧٩)

هذه قصة الدعوة إلى الله: نبي يدعو وقوم يكذبون، ويسخرون من المؤمنين، ويجحدون بآيات ربهم؛ فيهلكهم الله بذنوبهم، ويعجل لهم الهلاك دون تفصيل.

جـ- في سورة الشعراء (٤٧):

١- تكذيب ثمود (١٤١)

٢- دعوة صالح لهم (١٤٢- ١٥٢)

٣- تكذيبهم له، وطلبهم آية (١٥٣- ١٥٤)

٤- الناقة، والتحذير (١٥٥- ١٥٦)

٥- عقر الناقة، والندم (١٥٧)

٦- إهلاك ثمود (١٥٨)

تبدأ الأحداث بتقديم يحدد اتجاه القص ﴿ كَذَبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) ﴾ ومن ثم تفصل الأحداث قصة التكذيب المركوز في نفوس أصحابه، فهم يتحركون بتوجيه منه.

د- في سورة النمل (٤٨):

١- إرسال صالح إلى ثمود، وانقسامهم فريقين (٤٥)

٢- كفر الفريق الضال، وتشاؤمهم من المؤمنين (٤٦- ٤٧)

٣- عقد العزم على قتل صالح وأهله (٤٨- ٥٠)

٤- إهلاك الكافرين، ونجاة المؤمنين (٥١- ٥٣)

تحكي الأحداث قصة قوم مكروا بنبيهم، وبيتوا لقتله، فأهلكهم الله بما مكروا.

هـ- في سورة هود (٥٢):

١- إرسال صالح، والدعوة إلى عبادة الله وحده (٦١)

٢- تكذيب قومه له، وإنكارهم لحاله (٦٢)

٣- عقر الناقة، وانتظار العذاب (٦٣- ٦٥)

٤- نجاة المؤمنين، وإهلاك الظالمين (٦٦- ٦٧)

وهذه قصة انحراف الفطرة، حين يصير الحق ضلالا وباطلا، والباطل حقا؛ إذ نجد في ردهم على نبيهم ﴿ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا ﴾ أي قبل أن يدعوهم إلى الحق الذي سيكلفهم ترك اتباع الهوى.

تعقيب

هنا أيضا تتكرر الوظائف الثابتة في قصص نوح وهود عليهما السلام:

١- الإرسال و الدعوة إلى عبادة الله وحده.

٢- التكذيب.

٣- نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين.

وثم وظائف أخرى متغيرة تؤثر في متن الحكاية، وتؤدي إلى زيادة خصوصية القصة؛ فتأتي مرة قصة التكذيب والعذاب، ومرة قصة الدعوة إلى الله، ومرة ثالثة قصة التكذيب الذي يقود أصحابه إلى هلاكهم، ورابعة قصة المكر الذي يهلك أصحابه، وخامسة قصة انحراف الفطرة.

قصص لوط عليه السلام

ا- في سورة القمر (٣٧):

١- تكذيب قوم لوط (٣٣)

٢- إهلاك المكذبين، ونجاة المؤمنين (٣٤- ٣٥)

٣- إنذار لوط قومه، وتكذيبهم له (٣٦)

٤- مراودتهم لوطا عن ضيفه (٣٧)

٥- إهلاك قوم لوط (٣٧- ٣٩)

تعرض الأحداث قصة إهلاك قوم لوط؛ حيث أُنذروا فكذبوا فحق هلاكهم.

ب- في سورة الأعراف (٣٩):

١- إنكار لوط فعل قومه (٨٠- ٨١)

٢- تماديهم في الغي والإجرام (٨٢)

٣- نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين (٨٣- ٨٤)

تحكي الأحداث قصة الدعوة إلى الله، باتباع هديه، وترك اتباع الهوى والإغراق في الرذيلة. ومقابلة ذلك بالجحود والتكذيب. ومن ثم يكون الإهلاك جزاء وفاقا دون إمهال، ودون مقدمات تفصيلية.

جـ- في سورة الشعراء (٤٧):

١- تكذيب قوم لوط (١٦٠)

٢- دعوة لوط لهم (١٦١- ١٦٦)

٣- تهديدهم بإخراجه إن لم ينته (١٦٧)

٤- تصريحه بالبغض لعملهم، واستنصاره بربه (١٦٨- ١٦٩)

٥- نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين (١٧٠- ١٧٤)

تحكي الأحداث قصة قوم مكذبين، صموا آذانهم عن دعوة نبيهم؛ فدمر الله عليهم.

د- في سورة هود (٥٢):

١- مجيء الرسل إبراهيم ببشرى الولد، و إخبارهم له بأمر قوم لوط (٦٩- ٧٦)

٢- مجيء الرسل لوطا، وضيقه بهم؛ خوفا عليهم من قومه (٧٧)

٣- قدوم قومه يريدون ضيفه، ومحاولته منعهم (٧٨- ٨٠)

٤- كشف الرسل عن حقيقتهم، وطلبهم إليه بالرحيل (٨١)

٥- إهلاك الكافرين (٨٢- ٨٣)

تعرض الأحداث حيرة لوط عليه السلام، لمعرفته بانحراف قومه، حين أتته الملائكة في صورة بشر ضيفان، وهو ليس بقادر على حسن استضافتهم.

هـ- في سورة الحجر (٥٤):

١- مجيء الرسل إبراهيم ببشرى الولد، وإخبارهم له بأمر قوم لوط (٥١- ٦٠)

٢- مجيء الرسل لوطا، وإخباره بأمرهم (٦١- ٦٦)

٣- قدوم قومه يريدون ضيفه، ومحاولته منعهم (٦٧- ٧١)

٤- إهلاك قوم لوط (٧٢- ٧٧)

تحكي الأحداث قصة تصديق النذير، أمام الشاكين المكذبين. وهذا ما جاء لأجله الملائكة إلى لوط الذي كان قد توعد قومه بالعذاب؛ فكذبوه؛ فصدقته الملائكة بوقوع العذاب.

و- في سورة العنكبوت (٨٥):

١- إنكار لوط فعل قومه (٢٨- ٢٩)

٢- استهزاء قومه، وطلبهم العذاب (٢٩)

٣- استنصار لوط بربه (٣٠)

٤- مجيء الملائكة إبراهيم بالبشرى، وإخباره بأمر القرية (٣١- ٣٢)

٥- مجيء الملائكة لوطا، وضيقه بهم؛ خوفا عليهم من قومه (٣٣)

٦- إهلاك القرية (٣٣- ٣٥)

تحكي الأحداث طبيعة الدعوة التي أرسل لها لوط، وما لقي من استهزاء قومه، ومن ثم تعرض نصر الله لنبيه حين استنصر به.

تعقيب

هاهنا نجد الوظائف الثلاث الثابتة في قصص كل من نوح، وهود، وصالح:

١- الدعوة إلى تقوى الله.

٢- التكذيب.

٣- نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين.

تنضاف إليها الوظائف المتغيرة، لتغير الشكل الذي تأتي عليه القصة، وتمنحه خصوصيته فيكون مرة هو قصة إهلاك قوم لوط، ومرة قصة الدعوة إلى الله، وثالثة قصة قوم مكذبين، ورابعة قصة حيرة النبي، وخامسة قصة تصديق النذير، وسادسة قصة نصر الله لنبيه.

قصص شعيب عليه السلام

ا- في سورة الأعراف (٣٩):

١- إرسال شعيب إلى مدين، والدعوة إلى عبادة الله وحده (٨٥- ٨٧)

٢- تكذيب قومه و استكبارهم (٨٨- ٩٠)

٣- استنصاره بربه (٨٩)

٤- إهلاك الكافرين (٩١- ٩٢)

٥- تحسر شعيب عليهم (٩٣)

تعرض الأحداث قصة الدعوة إلى الله، وموقف المدعوين منها.

ب- في سورة الشعراء (٤٧):

١- تكذيب أصحاب الأيكة (١٧٦)

٢- دعوة شعيب لهم (١٧٧- ١٨٤)

٣- تكذيبهم له، وطلبهم العذاب (١٨٥- ١٨٧)

٤- إهلاك المكذبين (١٨٨- ١٩٠)

تعرض الأحداث قصة قوم مكذبين، أهلكوا عقابا على تكذيبهم رسولهم.

جـ- في سورة هود (٥٢):

١- إرسال شعيب إلى مدين، والدعوة إلى عبادة الله وحده (٨٤- ٨٦)

٢- تكذيب قومه له و استهزاؤهم به (٨٧- ٩١)

٣- تهديده لهم بعذاب الله (٩٢- ٩٣)

٤- نجاة المؤمنين، وإهلاك الظالمين (٩٤- ٩٥)

تعرض الأحداث قصة رسول جاهر قومه بالتهديد بالعذاب، بعد أن يئس منهم لتكذيبهم وكفرهم.

تعقيب

نحن هنا أمام الوظائف الثلاث الثابتة في قصص نوح، وهود، وصالح، ولوط:

١- الإرسال والدعوة إلى عبادة الله وحده.

٢- التكذيب.

٣- نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين.

وثم وظائف أخرى متغيرة، تعطي متتالية الوظائف في كل مرة شكلا جديدا، يعطي مدلولا مختلفا في كل مرة، فمرة نجد قصة الدعوة وما يحف بها، ومرة قصة عاقبة المكذبين، ومرة قصة موقف الرسول من قومه المكذبين.

قصص موسى عليه السلام

أ- في سورة الأعراف (٣٩):

- مقدمة: الإرسال، والدعوة، والتكذيب (١٠٣)

- ثم تفصيل:

١- إرسال موسى إلى فرعون وقومه، مؤيَّدا بالمعجزات (١٠٤- ١٠٨)

٢- تكذيب فرعون وقومه (١٠٩- ١٢٧)

٣- نجاة بني إسرائيل، وإهلاك فرعون وقومه (١٣٠- ١٣٧)

٤- انحراف فطرة بني إسرائيل، وفساد طبيعتهم (١٣٨- ١٦٨)

هاهنا، وكما رأينا مع قصص سورة الأعراف: نوح، وهود، ولوط، وشعيب؛ نلتقي مع الوظائف الثلاث الثابتة: الدعوة، والتكذيب، ثم النجاة والإهلاك؛ غير أن الوظيفة الأخيرة هاهنا لا تعني خاتمة

القصة، كما مر بنا في القصص السابقة، وإنما هي بداية لجانب آخر من القصة، يتكفل بإظهار فساد طبيعة بني إسرائيل، وانحراف فطرتهم، وهم الفريق الناجي المفترض فيه الإيمان، لكن طبيعتهم الخبيثة تمنعهم أن يثبتوا على العقيدة الصحيحة؛ فنراهم ينحرفون مرة بعد مرة، وما يزال الرسول بين ظهرانيهم.

ب- في سورة طه (٤٥):

١- اختيار موسى للرسالة (٩- ٣٦)

٢- تذكير موسى بنعم الله عليه (٣٧- ٤١)

٣- إرسال موسى إلى فرعون (٤٢- ٥٥)

٤- استكبار فرعون و تكذيبه (٥٦- ٧٦)

٥- إهلاك فرعون وقومه (٧٧- ٧٩)

٦- إنجاء بني إسرائيل، وضلالهم (٨٠- ٩٨)

تحكي الأحداث قصة الرسالة، ومصاحباتها من دعوة، وتكذيب، وإهلاك وإنجاء. حيث تبدأ القصة بحدث اختيار الرسول، بداية من

تعريف الله له بذاته، وأنه اختاره لرسالته، وأيده بالمعجزات الخارقة؛ تمهيدا لإرساله إلى فرعون، ويذكره الله بأنه، من قبل، قد منَّ عليه بنعمه، منذ ميلاده حتى إرساله، ليُصنع على عينه؛ حتى إذا ذهب إلى فرعون ذهب مطمئنا إلى معية ربه ورعايته له اطمئنانا مطلقا. وليذهب إلى فرعون لعله يتذكر أو يخشى؛ لكنه كذب وأبى؛ فكانت خاتمة قصة فرعون وقومه متمثلة في إهلاكهم، وكان هذا الإهلاك بداية لحياة بني إسرائيل الكريمة، التي رفضوها بجهلهم واتّبعوا أهواءهم؛ فعبدوا عجل السامري، حتى عاد موسى من ميعاد ربه فحرّقه، ونسفه في اليم نسفا.

جـ- في سورة الشعراء (٤٧):

١- الإرسال (١٠- ٢٤)

٢- التكذيب (٢٥- ٥٦)

٣- إهلاك فرعون وقومه، وتكريم بني إسرائيل (٥٧- ٦٧)

هاهنا نقابل الوظائف الثلاث الثابتة، حيث نبدأ مع إرسال موسى إلى قوم فرعون الظالمين، ودعوته لهم؛ لكنهم يكذبونه مستكبرين معرضين عن دعوته؛ بعد أن يجادل فرعونُ موسى في تربيته إياه، وفي

قتله القبطي، ثم في الله رب العالمين، محذرا إياه أن يتخذ إلها غيره؛ ويجمع له السحرة ليغلبوه؛ فتكون الغلبة لموسى عليهم، ومن ثم يؤمنون بالله رب العالمين؛ ويغضب فرعون ويرسل في المدائن حاشرين محذرين؛ وتكون عاقبتهم الإهلاك وتوريث بني إسرائيل جناتهم، وكنوزهم، ومنازلهم.

د- في سورة القصص (٤٩):

- مقدمة: (٣- ٦)

١- طفولة موسى (٧- ١٣)

٢- الخروج إلى مدين (١٤- ٢٨)

٣- الرسالة، والعودة إلى مصر (٢٩- ٣٥)

٤- مجيء موسى، ودعوته آل فرعون (٣٦- ٣٧)

٥- تكذيب فرعون واستكباره (٣٨- ٣٩)

٦- إهلاك الظالمين: فرعون وجنوده (٤٠- ٤٢)

تبدأ القصة بمقدمة عن استكبار فرعون، وإفساده، وإرادة الله التمكين لبني إسرائيل؛ ومن ثم يأخذ السرد في تفصيل ذلك؛ فيبدأ منذ طفولة موسى التي جاءت مع إذلال بني إسرائيل واضطهادهم، فتلقيه أمه في اليم خوفا عليه، ويلتقطه آل فرعون، ليعود إلى أمه بعد أن يرفض المراضع اللائي عرضن عليه. ومن ثم ينتقل السياق إلى شبابه وقتله للقبطي، ورحيله إلى مدين، ليلتقي بالمرأتين، ويتزوج إحداهما، ويعود إلى مصر بزوجه بعد أن قضى الأجل؛ لتبدأ في طريق العودة رحلة الرسالة، فيكلفه الله بدعوة آل فرعون؛ ويكذبه فرعون وجنوده؛ فتكون العاقبة الوبيلة على المكذبين ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) ﴾.

تعقيب

ما زالت الوظائف الثلاث الثابتة في قصص الأنبياء السابقين (نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب): الدعوة. التكذيب. الإهلاك والإنجاء- تؤكد ارتباطها بالرسالات، فتأتي هاهنا في قصص موسى عليه السلام، تنضاف إليها وظائف أخرى لتغير من تأثيرها في نفوس المتلقين، تبعا لتغير السياق الذي ترد فيه القصة.

قصة موسى والعبد الصالح

- في سورة الكهف:

١- الرحلة إلى مجمع البحرين (٦٠)

٢- نسيان الحوت (العلامة) (٦١- ٦٤)

٣- لقاء العبد الصالح، واتباعه على شرطه (٦٥- ٧٠)

٤- الإخلال بالشرط ثلاث مرات (٧١- ٧٧)

٥- الفراق، وتأويل الأحداث العجيبة (٧٨- ٨٢)

ترد قصة موسى والعبد الصالح مرة واحدة، في سياق واحد؛ فيبدو فيها التماسك الوظيفي الذي تتمتع به مثيلاتها من القصص المذكور مرة واحدة، كما سنرى في قصة يوسف عليه السلام.

تبدأ القصة بالرحلة إلى مكان غير معلوم، و لقاء رجل مجهول يقوم بأفعال غير مبَرَّرة: خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار لمن رفض إطعامه؛ أفعال ربما تحمل الشر والغرابة في ظاهرها، لكن تأويلها الذي يأتي مع الفراق يحمل معنى آخر؛ معنى الرحمة: فخرق السفينة

كان رحمة بأصحابها، وقتل الغلام كان رحمة بأبويه، وإقامة الجدار كان رحمة بغلامين يتيمين في المدينة وكان أبوهما صالحا؛ ومن ثم يكون وقع الفراق أليما، وتأثيره مذهلا لموسى، فلا نسمع له تعليقا، وإنما ينتقل السياق إلى قصة أخرى.

قصة يوسف عليه السلام

١- رؤيا يوسف (٤- ٦)

٢- حسد الإخوة (٧- ١٨)

٣- يوسف عند عزيز مصر (١٩- ٢١)

٤- محنة المراودة (٢٢- ٣٤)

٥- يوسف في السجن " رؤيا السجينين ورؤيا الملك " (٣٥- ٤٩)

٦- براءة يوسف والتمكين له (٥٠- ٥٧)

٧- قدوم إخوته عليه، واجتماعه بأخيه (٥٨- ٨٣)

٨- تأويل الرؤيا (٨٤- ١٠١)

ترد هذه القصة في سياق واحد، وتكتمل في بنية وظيفية واحدة متماسكة؛ فالحكاية تبدأ برؤيا يوسف، التي تكشف عن حسد إخوته، ذلك الحسد الذي كان سببا في وصوله إلى بيت عزيز مصر، حيث راودته امرأة العزيز عن نفسه، مما تسبب في دخوله السجن، الذي كان سببا في التمكين له، حيث وصل إلى الملك عن طريق ساقيه، وتسبب التمكين له في اجتماعه بإخوته، ومن ثم في تحقيق الرؤيا... هكذا تترابط الوظائف في القصة ترابط السبب والنتيجة؛ حيث تتنامى الوظائف، وتتناسل اللاحقة من السابقة حتى تكتمل القصة.

قصص سليمان عليه السلام

ا- في سورة ص (٣٨)

١- سليمان والصافنات الجياد (٣٠- ٣٣)

٢- فتنة سليمان (٣٤)

٣- استغفاره، وسؤاله ملكا لا ينبغي لأحد بعده (٣٥)

٤- ملك سليمان (٣٦- ٤٠)

تحكي الأحداث قصة عبد أواب ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) ﴾ آتاه الله الملك جزاء أوابيته.

ب- في سورة النمل (٤٨)

١- ملك سليمان (١٥- ١٩)

٢- مجيء الهدهد بخبر سبأ (٢٠- ٢٦)

٣- كتاب سليمان إليهم (٢٧- ٣٤)

٤- هدية الملكة إلى سليمان (٣٥)

٥- رفض الهدية، و تهديدهم بالحرب (٣٦- ٣٧)

٦- انتقال عرش الملكة عند سليمان (٣٨- ٤٠)

٧- تنكير العرش وتعرفها عليه.. (٤١- ٤٣)

٨- إسلام ملكة سبأ (٤٤)

تحكي الأحداث عن ملك سليمان، وعما آتاه الله من علم بمنطق الطير؛ فالهدهد سيخبره بخبر سبأ، والمرأة التي تحكمهم، تمهيدا لدعوتهم إلى الإسلام. وعندما يريد عرش الملكة يأتيه به الذي عنده علم من الكتاب قبل أن يرتد إليه طرفه، ثم إنه لا يقبل هدية الملكة التي كانت بغرض اختباره، ويخبرنا السياق أن عدم قبوله الهدية كان سببا في مجيء الملكة إليه، ومن ثم إسلامها معه لله رب العالمين؛ وكأنه لو قبلها لكان للأحداث التالية شأن آخر.

جـ- في سورة سبأ (٥٨)

١- ملك سليمان (١٢)

٢- تسخير الجن له (١٢- ١٣)

٣- موته، وإدراك الجن لذلك (١٤)

تعرض الأحداث فضل الله على الشاكرين، وعلم الجن المحدود بحدود الظاهر، أما الغيب فهو من علم الله وحده لا يشركه فيه أحد.

تعقيب

ما زال يتأكد لنا مرة بعد مرة، دور السياق في تحديد الوظائف المختارة من تاريخ الشخصيات، وصولا إلى هدف تسعى القصة إلى تحقيقه. ففي سورة ص نبدأ مع قوله تعالى ﴿ ص وَالْقُرْءَانِ ذِي الذكرِ (١) ﴾ ويستمر السياق مع الذكر والتذكير، فالقرآن نزل ذكرا وتذكيرا لمحمد ﷺ، ولقومه ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) ﴾ ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٨٧) ﴾ فسليمان العبد الأواب الذي آتاه الله الملك جزاء أوابيته، لم يكن شيء أحب إليه من ذكر الله، ونرى كيف تتوافق الوظائف المذكورة له هاهنا مع السياق العام للسورة، بدءا من انشغاله بالصافنات عن ذكر ربه، وإسراعه بالتوبة إلى الله وسؤاله ملكا واسعا منحه الله إياه. وفي سورة النمل يخبر الله رسوله محمدا ﷺ ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْءَانَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦) ﴾ وهذا الحكيم العليم هو الذي آتى داود وسليمان العلم ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا...[الآية] (١٥) ﴾ ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) ﴾ وهو الذي أعطى محمدا القرآن آية بينة. والله تعالى وحده عالم الغيب، والجن الذين عملوا لسليمان كل ما عملوا، لا طاقة لهم على معرفة شيء منه ﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ

مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إلاّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣) ﴾ [سورة سبأ].

قصة أصحاب الكهف

أ- إجمال:

الإيواء إلى الكهف، النوم، البعث (٩- ١٢)

ب- تفصيل:

١- الإيواء إلى الكهف (١٣- ١٨)

٢- بعثهم، والعثور عليهم (١٩- ٢١)

٣- الاختلاف في عددهم، وفي مدة لبثهم في الكهف (٢٢- ٢٦)

تبدأ الحكاية بعرض موجز، يُجمل أحداث الإيواء إلى الكهف، والنوم، والبعث. ثم يُفصل الحديث بعد ذلك عن هؤلاء الفتية المؤمنين الذين فروا بدينهم إلى الله؛ فآواهم ونصرهم وجعلهم للناس آية.

قصة قارون

- في سورة القصص:

١- قارون وبغيه على قومه (٧٦)

٢- نصح قومه له (٧٦- ٧٧)

٣- اغتراره بما عنده، واستكباره أن يقبل النصح (٧٨)

٤- افتتان الضعفاء به (٧٩)

٥- نصح المؤمنين لهم (٨٠)

٦- انخساف الأرض بقارون وداره (٨١)

٥- انتباه الضعفاء من غفلتهم (٨٢)

إنها قصة قارون وبغيه على قومه، واستكباره أن يقبل نصح الناصحين منهم؛ فكان أن خسف الله به وبداره الأرض. ولنر كيف

تتناسل الوظائف، اللاحقة من السابقة: فقد انتبه الضعفاء من غفلتهم؛ لأنهم رأوا ما حاق بقارون من خسف له ولداره؛ وقد حدث هذا الخسف نتيجة لكبْره وبغيه.

قصة أصحاب الجنة

- في سورة القلم:

١- عزمهم على الانفراد بثمرها دون المساكين (١٧- ١٨)

٢- إهلاك الجنة أثناء نومهم (١٩- ٢٠)

٣- الاجتماع، والذهاب لجمع ثمار الجنة (٢١- ٢٥)

٤- التلاوم والرجوع إلى الله (٢٦- ٣٢)

إنها قصة نفر عادوا إلى ربهم نادمين؛ لأن ربهم عجل لهم العذاب؛ حين عقدوا العزم على الانفراد بما آتاهم من نعيم.

قصة ابني آدم

- في سورة المائدة:

١- القربان (٢٧)

٢- التهديد (٢٧- ٢٩)

٣- القتل (٣٠)

٤- مجيء الغراب (٣١)

٥- الندم (٣١)

ما تزال ميزة القصص المفرد التي تتجلى في تماسك وظائفه تظهر في قصة ابني آدم: فالقاتل من ابني آدم ندم؛ لأنه عجز أن يكون مثل الغراب؛ إذ لم يوار سوءة أخيه حيث قتله؛ وقتله، لأن الله تقبل قربان أخيه ولم يتقبل قربانه؛ والله لم يتقبل قربانه، لأن الله إنما يتقبل من المتقين. فابن آدم (القاتل) لم يكن من المتقين؛ فلم يتقبل الله قربانه؛ فتوعد أخاه الذي تُقُبِّل منه؛ وقتله؛ ولم يدر ما يفعل به، حتى رأى

غرابا يبحث في الأرض؛ ليعلّمه كيف يوارى سوءة أخيه؛ فندم إذ اكتشف عجزه عن أن يكون مثل هذا الغراب.

قصة صاحب الجنتين

- في سورة الكهف:

١- رجلان أوتي أحدهما زينة الحياة الدنيا (٣٢- ٣٤)

٢- مفاخرته لصاحبه، ونصح صاحبه له (٣٤- ٤١)

٣- ضياع الجتنين، والندم (٤٢- ٤٣)

إنها قصة غافل ضاعت جنتاه؛ حيث لم يؤد شكرهما لله المانح، وتكبَّر وتاه بما عنده. لقد ندم؛ لأن الجنتين قد ضاعتا؛ وهما قد ضاعتا لأنه لم يؤد شكرهما؛ وهو لم يؤد شكرهما لأنه ظلم نفسه بجحود نعمة ربه.

قصة عيسى ابن مريم

عليهما السلام

ا- في سورة مريم (٤٤):

١- زكريا يُرزق بيحيى (٢- ١٥)

٢- قضاء الله بكون عيسى من مريم بغير أب (١٦- ٢١)

٣- ميلاد المسيح (٢٢- ٢٦)

٤- عودة مريم إلى أهلها، وكلام عيسى في المهد (٢٧- ٣٣)

هاهنا قصة ميلاد عيسى، ومعجزة طفولته.

ب- في سورة الأنبياء (٧٣):

١- زكريا يُرزق بيحيى (٨٩- ٩٠)

٢- مريم وابنها آية للعالمين (٩١)

وهاهنا قصة فضل الله على عيسى ووالدته.

جـ- في سورة آل عمران (٨٩):

١- ميلاد مريم (٣٥- ٣٧)

٢- مريم في كفالة زكريا (٣٧- ٤١)

٣- اصطفاء الله لمريم (٤٢- ٤٣)

٤- تبشيرها بعيسى (٤٥- ٤٨)

٥- رسالة عيسى (٤٩- ٥١)

٦- كفر بني إسرائيل ومكرهم (٥٢- ٥٤)

٧- رد مكر الكافرين (٥٥- ٥٧)

تبدأ الأحداث من قبل ميلاد مريم المنذورة لله، التي تولد ويكفلها زكريا، فيرى من كراماتها ما يجعله يدعو ربه أن يهبه ذرية طيبة؛ فيستجيب الله له ويهبه يحيى مع كبَره وعقر امرأته، وبعد ذلك يهب مريم ولدا بقدرته، تلك القدرة التي وهبت زكريا من قبل الولد- ومن ثم

يعده للرسالة ويرسله إلى بني إسرائيل مؤيَّدا بالمعجزات؛ فيكفرون به مع ذلك، ويمكرون به، فينجيه الله من مكرهم.

د- في سورة المائدة (١١٢)

١- تذكير الله لعيسى ابن مريم بنعمته عليه وعلى والدته (١١٠)

٢- إيمان الحواريين، وطلبهم المائدة (١١١- ١١٤)

٣- إنزال المائدة، وتوعد الكافرين (١١٥)

٤- حوار- بين الله وعيسى- حول وحدانية الله (١١٦- ١١٨)

تدور الأحداث حول قضية التوحيد: فالله تعالى قد أنعم على عيسى وعلى والدته، وجمع حوله قلوب الحواريين، فهو ربه الخالق المتصرف، ثم يؤكد للمكذبين كذبهم؛ إذ لم يقل عيسى للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله، بل دعاهم إلى عبادة الله ربه وربهم.

تعقيب

تقترن قصة عيسى دائما بقصة زكريا عليهما السلام، التي تأتي تمهيدا لهذا الحدث الخارق (ميلاد بغير أب!) وفي المائدة ليست القصة في حاجة إلى هذا التمهيد (بقصة زكريا) لأننا في القيامة و في الحساب، حيث لا دعوة، ولا إيمان، ولا كفران، وإنما جزاء على ما كان.

خصائص المتن القصصي

في القرآن الكريم

رأينا، فيما مر علينا من قصص قرآني، أن ثمة قصصا يرد أكثر من مرة في مواضع مختلفة من الكتاب الحكيم، وآخر يرد ذكره مرة واحدة فقط، وأن النوع الأول يأتي في كل مرة يذكر فيها بشكل مختلف، كما رأينا في قصص: آدم، ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى... وفيها جميعا، نجد نواة وظيفية تتكرر، فيما عدا قصص آدم الذي يمثل مقدمة وسببا في وجود هذه النواة؛ نقرأ في ختام قصة آدم من سورة البقرة قوله تعالى ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ

كَفَرُوا وَكَذَبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩) ﴾ ثم تتوالى القصص بعد ذلك: يأتي الهدى من الله؛ فيتبعه الناجون، ويكذب به الهالكون. ومن ثم كانت تلك النواة الوظيفية التي انبنى عليها جميع القصص التالي:

١- الدعوة إلى عبادة الله وحده.

٢- الرفض والاستكبار.

٣- نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين.

هذه البنية تقابلنا في كل مرة في القصص المذكور، تتغير الشخصيات، بينما تظل وظائفها ثابتة: تظل الدعوة، ويظل التكذيب، وتظل العاقبة... وكأنها قصة واحدة تتكرر حلقاتها على الصورة نفسها، كلما كانت فترة نسي فيها الإنسان عداوة الشيطان، ووعيده القديم.

غير أن الهدف الذي تأتي من أجله القصة- من قصص النبي الواحد- يجعلها تختلف، في كل مرة، في بنيتها الوظيفية فيكون التركيز على وظائف دون غيرها، ويكون بحضور وظائف أو غياب

أخرى؛ مما يؤثر في متتالية الوظائف؛ فيجعلها بالتالي قصة جديدة في كل مرة كما مر بنا من قبل.

وأما القصص مفرد الذكر في القرآن، فقد رأينا كيفية تماسك الوظائف فيه، تماسكا منطقيا، زمنيا في الوقت ذاته، بحيث تقوم كل وظيفة على سابقتها وفق امتداد خطي تسلسلي، غالبا، وكل وظيفة لها دورها الذي يحدده السياق.

الهوامش:

١) **V. Propp, Morphologie du conte, Traduction française, Ed.du Seuil, coll.Points, 1970, p. 31**

٢) **Ibid. p: 29**

شخصيات السرد

تحدثنا، فيما مر، عن المكون الأساسي الأول للمتن الحكائي (الأحداث) ونتناول الآن المكون الأساسي الآخر وهو الشخصيات. ولكي نتعرف على شخصياتنا الحكائية في قصص القرآن أمامنا أكثر من طريق: فهناك الأفعال التي تقوم بها الشخصية، والأوصاف التي توصف بها. وهناك أيضا ما تقوله الشخصية عن نفسها، وما يقوله عنها الآخرون، سواء كانوا معها أو ضدها. وأهم من كل هذا، هناك العلاقات القائمة بين تلك الشخصيات، وهى تقوم بدور كبير في الكشف عن طبيعة الشخصية السردية.

في قصص آدم عليه السلام

يقابلنا ثلاث شخصيات، هي: الملائكة، وآدم عليه السلام، والشيطان.

الملائكة: كائنات مفطورة على الطاعة ﴿ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾ في سور: البقرة، والأعراف، والإسراء، والكهف، وطه ﴿ فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ( ) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ في سورتي: الحجر، وص. فهي كما نرى نماذج للطاعة والتسليم دون مراجعة أو إبطاء.

الشيطان: يظهر في هذا القصص نموذجا للعصيان المطلق، والاستكبار، والحقد... خلقه الله من نار السموم، فلم يحجم عن عصيان أمره بالسجود لآدم، وتبجح واستكبر معلنا رأيه ﴿ قَالَ لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٣٣) ﴾ [سورة الحجر] ﴿ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) ﴾ [سورة الإسراء] ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢) ﴾ [سورة الأعراف]- غافلا عن ذلك العنصر الكريم الزائد على الطين في آدم ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ في سورتي: الحجر (٢٩) و ص (٧٢) أعماه الحسد لهذا المخلوق، ثم ما لبث هذا الحسد أن تحول إلى حقد طاغ، حين أخرج من الجنة مطرودا من رحمة ربه؛ إذ رأى أن آدم عليه السلام هو السبب في كل هذا، فأعماه حقده، مرة أخرى، عن التوبة والاستغفار، وقد أنظر إلى يوم البعث، فعقد العزم على الانتقام من آدم وذريته، وتبجح أمام ربه مجددا، مقسما ليغوين ذلك المخلوق الذي كرمه الله، ولا يترك في سبيل ذلك طريقا إلا سلكه، ولا جهدا إلا بذله.

وآدم عليه السلام: نموذج ثالث، خلقه الله من صلصال من حمإ مسنون، ثم نفخ فيه من روحه، وأولاه رعايته دائما، فأمر الملائكة بالسجود له تكريما، ثم حذره من إبليس عدوه الأول- وحتى بعد أن أغواه إبليس

بالأكل من الشجرة المحرمة، نجد الله لا يتركه، لأنه لا يتمسك بالمعصية كإبليس بل يتوب عنها، فيتوب الله عليه، ويهديه إلى طريق الجنة إذا أراد أن يعود؛ فهو يرعاه دائما.

فشخصية آدم ليست كالملائكة في طاعتهم المطلقة، وليست كالشيطان في عصيانه المطلق؛ بل هي نموذج متوسط بينهما، لديه استعداد مزدوج لأن يكون مطيعا، أو أن يكون عاصيا؛ لأن يكون خيرا، أو أن يكون شريرا. فهو يترجح بين الحمأ المسنون (مادته التي خُلق منها) وبين ما فيه من روح الله، وميزان ذلك إرادة منحه الله إياها ﴿ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) ﴾ [سورة البقرة] ﴿ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) ﴾ [سورة الأعراف] ﴿ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) ﴾ [سورة طه]؛ فالله يربي فيه هذه الإرادة بمنعه من الشجرة في الجنة، وبتحذيره من الشيطان فلا ينسى عهد الله. لكن آدم ليس ملَكا، وإن فيه لضعفا يستغله الشيطان، وينفذ منه إليه ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ

(٢١) ﴾ [سورة الأعراف] ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى (١٢٠) ﴾ [سورة طه]. فينسى آدم عهد الله إليه، ويضعف أمام الغواية والإغراء بالخلد والملك، وإن كان كل ذلك وهما زينه الشيطان؛ فيزل، لكنه لا يسدر في غيِّه فيستمر على خطئه مستكبرا بل يتذكر، فيعود إلى ربه نادما مستغفرا؛ فيقبله الله، ويتوب عليه.

وحين يهبط آدم عليه السلام وإبليس عدوين لدودين، لا يترك الله آدم، بل يشمله وذريته برعايته وعنايته ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩) ﴾ [سورة البقرة] ﴿ يَا بَنِي ءَادَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ (٢٧) ﴾ [سورة الأعراف].

وإذا كانت وظيفة الملائكة، في هذا القصص، تنتهي بالسجود لآدم، ولا نجد لها ذكرا بعد ذلك، فإن إبليس تبدأ وظيفته عندها- عند سجود الملائكة الذي يزامن رفضه- تبدأ ولا تنتهي إلى يوم البعث؛ وتبدأ

من ثم علاقة جديدة يدخل فيها طرف جديد، هو ذرية آدم، وإبليس لهم عدو، يدعوهم إلى طريقه فمن سار عليه ونسي عداوته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، ومن عاداه واتبع هدى الله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وعلى هذا يسير القصص التالي لقصص آدم عليه السلام؛ يهيمن عليه نموذجان: نموذج الخير (من اتبع هدى الله) ونموذج الشر (من سلك طريق الشيطان) وبينهما صراع دائم.

في قصص نوح عليه السلام

نجد نموذج الخير متمثلا في رسول الله إلى البشر- نوح عليه السلام- الذي أطاع أمر ربه، وصبر على قومه وعلى تكذيبهم إياه واضطهادهم له مدة الرسالة ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا (١٤) ﴾ [سورة العنكبوت]. لم يقعد عن دعوتهم، ومحاولة هدايتهم إلى الحق الذي لا يرون، وإزالة غشاوة الباطل عن قلوبهم، وتبصيرهم بأنوار الإيمان. كان لقومه أخا ناصحا صادقا في نصحه، أخذهم باللين وتلطف معهم، مقابلا اتهاماتهم وتكذيبهم إياه بسماحة النبي وتلطفه، واثقا بالحق الذي جاءهم به مطمئنا إلى ربه الذي أرسله، لا يقابل تبجحهم بمثله، شأن الكبير

النفس إذ يتغاضى عن زلات صغار النفوس؛ أملا في إصلاحهم. لكنهم لا يرعوون، فيكشف لهم جانبا من الحقيقة ﴿ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ (٣١) ﴾ [سورة هود]. إنه لا يعدهم بشيء لأنه لا يملك شيئا ﴿ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ (١١٥) ﴾ [سورة الشعراء]. من أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه فقد أبى ﴿ وَلاَ يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٤) ﴾ [سورة هود]. ثم تحداهم جميعا ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلاَ تُنْظِرُونِ (٧١) ﴾ [سورة يونس]. وحين تمادوا في غيهم استنصر بربه ﴿ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٢٦) ﴾ [سورة المؤمنون] ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨) ﴾ [سورة الشعراء].

ونجد النموذج المقابل- نموذج الشر- أتباع الشيطان- وهم الملأ المستكبرون من قومه، لا يرون الحق، ولا يشعرون بالخير ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ(٦٤) ﴾ [سورة الأعراف] هذا وصفهم، وهذا فعلهم-

التكذيب- لا عن رأي وحجة وبصيرة، وإنما عن استكبار، واستعلاء، وتجبر. نقرأ قولهم في سورة الأعراف ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٦٠) ﴾ ولا يقولون شيئا بعدها. وفي هود يقولون: ﴿ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧) ﴾ فهو بشر، وأتباعه من السفلة الضعاف، ولا فضل لهم جميعا من مال أو جاه أو سلطان ﴿ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَنْزَلَ مَلائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الأَوَّلِينَ (٢٤) إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ (٢٥) ﴾ [سورة المؤمنون]. وحين غُلبوا بالحجة وضاقت صدورهم عن الحق ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢) ﴾ [سورة هود]. تاركين الجدال إلى التحدي، فزعين إلى ما لديهم من قوة وسلطان ﴿ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١٦) ﴾ [سورة الشعراء] هذا هو نموذج الشر يتمثل في المترفين المطموس على قلوبهم، لا يرون حقا، ولا ينكرون باطلا، إنما هي الدنيا، والمجد فيها والعلو والسلطان، فإن كانت رسالة فلتكن لإعلاء هذا السلطان، كلامهم محدود (جهلا) يعتمدون على قوتهم المادية، ولا يقبلون توجيها أو إرشادا.

وثم نموذج ثالث: هم المؤمنون مع نوح، نراهم من منظورين مختلفين: من منظور الكافرين، فهم أراذل، سفلة فقراء، ضعفاء، لا رأي لهم ولا نظر، ففي سورة هود نقرأ ﴿ وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾ وفي سورة الشعراء ﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ (١١١) ﴾ وفي سورة هود يعرض نوح نظرتهم لأصحابه ﴿ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ﴾.

ونراهم من منظور نوح عليه السلام: مؤمنين، مهتدين، عرفوا الحق فاتبعوه ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا (٢٩) ﴾ [سورة هود] ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤) ﴾ [سورة الشعراء]. وهكذا لا نسمع منهم شيئا، وإنما نعرفهم من خلال ما يقال عنهم، أو من خلال ما يوصفون به، دون أن يظهروا أو أن يظهر من أفعالهم غير الإيمان والتسليم.

في قصص هود عليه السلام

نجد النموذجين المتقابلين: الخير، والشر. نموذج الخير المتمثل في نبي الله هود، المرسل من ربه بالهدى إلى قومه، ليدعوهم إلى ترك

سبيل الشيطان، واتباع هدى الله- في صبر، وحلم، وإحسان، وإغضاء عن سفههم وسوء أدبهم، ثم في حسم، وإنذار، وتوعد.

وفي المقابل نجد نموذج الشر متمثلا في الملأ المستكبرين، المكذبين، المستهزئين من قومه، إنهم خلفاء الملأ من قوم نوح، أعطوا بسطة في الأبدان، وقوة في السلطان ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً (٦٩) ﴾ [سورة الأعراف] ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ (٥٢) ﴾ [سورة هود] ﴿ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (٣٣) ﴾ [سورة المؤمنون] ﴿ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤) ﴾ [سورة الشعراء]؛ أنجز فيهم الشيطان وعده؛ فقادهم إلى الكفر والبطر، فكانوا يستخدمون قوتهم في التفاخر والتباهي والعبث ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) ﴾ [سورة الشعراء] ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً (١٥) ﴾ [سورة الشعراء].

هكذا صفتهم: ضخام الأجسام، لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، إنما يتهجمون في شراسة ورعونة على ما يخالف مألوف قلوبهم، وما اعتادت عقولهم ﴿

قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا (٧٠) ﴾ [سورة الأعراف] ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي ءَالِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣) ﴾ [سورة هود]. فتحدوا- بجهلهم- نبي الله دون تدبر لما جاء به ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠) ﴾ [سورة الأعراف] إغلاقا لباب النصح والإرشاد من نبي الله لهم، وتكذيبا لإنذاره، واستهزاء بصدقه فيما جاء به من ربه، فكان هلاكهم، ثم صفتهم بعد موتهم ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) ﴾ [سورة القمر]. أو ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ(٢٠) ﴾ [سورة الحاقة]. لضخامة أجسامهم، وقوتهم التي لم تغن عنهم من الله شيئا.

وأما النموذج الثالث، الذين آمنوا مع هود فلم يذكروا إلا مرتين: ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ [سورة الأعراف] ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) ﴾ [سورة هود].

في قصص صالح عليه السلام

النموذجان ذاتهما: الخير المتمثل دائما في المرسل بالهدى من الله إلى قومه- نبي الله صالح، بصفات النبوة الثابتة. يدعو إلى الله، و يصطبر

على دعوته، وعلى قومه، ولا ييأس من هدايتهم. هذه وظيفته يؤديها واثقا بالحق الذي يدعو إليه، مطمئنا بالله الذي أرسله.

ونموذج الشر المتمثل هاهنا في ثمود، قوم صالح عليه السلام، أصحاب الحضارة العمرانية الواضحة، إذ يقول لهم نبيهم: ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا...[الآية] (٧٤)﴾ [سورة الأعراف] ﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [سورة هود]. و يقول لهم ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا ءَامِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩) ﴾ [سورة الشعراء]. كانوا في سعة من العيش، ونعمة، وترف، لكنهم كسابقيهم لم يشكروها، بل كفروا بها، واستكبروا، وكذبوا وعتوا عن أمر ربهم. وأنكروا نبوة صالح، وهزءوا بدعوته، وتعجبوا لصدورها عنه وكان يؤمل فيه الخير من قبل! لقد فسدت فطرتهم لطول ملازمتها للباطل ومجافاتها للحق، فصارت ترى الحق باطلا، والباطل حقا؛ ثم اشتطوا فطلبوا آية؛ فجاءتهم؛ فكذبوا بها. وتبجحوا بطلب العذاب، وتآمروا على قتله وأهله.

والنموذج الثالث موجود هنا بصوته، حين اتجه إليهم الملأ الذين استكبروا من قوم صالح يتهددونهم، وهم المستضعفون: ﴿ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ أجابوا في ثقة المؤمن ﴿ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ إنهم أقوياء بإيمانهم، والمستكبرون يشعرون بهذه القوة: ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٧٦) ﴾ [سورة الأعراف]. وكأنهما فريقان متساويان، متقابلان.

في قصص لوط عليه السلام

هنا نجد نموذجي الخير والشر، ينضاف إليهما نموذج الملائكة، الذي رأيناه من قبل، وكانت كائنات مفطورة على الطاعة والتسليم دون إبطاء. وهنا نراهم قليلي الحديث، يقولون حسب الحاجة، ويبلغون أمر الله دون تزيد. جاءوا إبراهيم، فأعد وليمته وقدمها إليهم، وجلس ينتظر أن تمتد أيديهم إليها..... كل هذا دون أن يدور بينهم حوار يعرفهم فيه ﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) ﴾ [سورة هود] ﴿ قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٣) ﴾ [سورة الحجر].

ثم يتداخل حديثهم في حديث الرحمن سبحانه ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) ﴾ [سورة هود]. فهم كما نرى مؤدون عن الرحمن، منفذون إرادته ومشيئته، إنهم لا يفعلون شيئا من تلقائهم، ولا يقولون من عندهم، إنهم ممثلو الرحمن في الأرض رسلا إلى البشر، إيمانهم بالله مطلق ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (٧٣) ﴾ [سورة هود]. ثم يحدث التداخل مرة أخرى، ويتأكد تمثيلهم لله وقيامهم بأمره ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (٧٥) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (٧٦) ﴾ [سورة هود]. وفي سورة الحجر ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٥٨) إِلاَّ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (٦٠) ﴾ فمن الذي يقدر غير الله.

ويعودون إلى صمتهم مرة أخرى عند لوط عليه السلام الذي ﴿ سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧) ﴾ [سورة هود]. وتركوه في حيرته وضيقه، يجادل فيهم قومه، حتى ﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ...[الآية] (٨١) ﴾ [سورة هود].

ونجد نموذج الخير في لوط الرسول ﷺ، الذي جاء بالخير إلى قومه، يدعوهم إلى ترك ما هم فيه من شذوذ، وينذرهم عاقبة ذلك، ويدافع عن ضيفه بكل ما يملك.

ونموذج الشر في قومه: قوم شواذ، منحرفو الفطرة، فاسدو المزاج، مسرفون على أنفسهم، ظالمون لها، ابتدعوا فاحشة ما سبقهم بها أحد من العالمين، فيقول لهم نبيهم: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ [سورة العنكبوت: ٢٩]. يدعوهم إلى الهدى فلا يزيدون إلا عتوا، وتبجحا، وضلالا ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) ﴾ [سورة الأعراف]. وفي سورة النمل: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا ءَالَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦) ﴾ بعد أن هددوه ﴿ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ(١٦٧) ﴾ [سورة الشعراء]. لكنهم لم يصبروا فاستعجلوا العذاب: ﴿ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩) ﴾ [سورة العنكبوت]؛ فالقلوب لاهية، والعقول مريضة، والشهوة فائرة حائرة.

في قصص شعيب عليه السلام

النموذجان المتقاطبان: الخير، والشر- شعيب ﷺ نموذج الخير: كسابقيه من الأنبياء، ويزيد فصاحة في مراجعته لقومه، وحسن تأتيه في دعوته لهم إلى الإيمان برسالته، ومع ذلك يقابلنا لأول مرة اتهام قوم لنبيهم بمثل هذا الاتهام: ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ... [الآية] (٩١) ﴾ [سورة هود].

وقومه، نموذج الشر، أتباع الشيطان، مشركون، مفسدون في الأرض يبخسون الناس حقوقهم، بتطفيف الكيل ونقصان الوزن، ويقطعون السبيل ويخيفون المارة فيه، ويعبدون الأيكة، ويصدون الناس عن سبيل الله، ويفتنونهم عن الدين الحق. حين دعاهم شعيب ﷺ إلى انتظار حكم الله، ولكلٍّ دينه الذي يدين، لم يرضوا أن يكون للحق وجود، وتبجحوا بقولهم: ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا...[الآية] (٨٨) ﴾ [سورة الأعراف]. فإما كفرٌ معهم، أو إخراج من بينهم. ومن قبل سخروا منه ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧) ﴾ [سورة هود]. هكذا قادهم هواهم،

وهكذا تحجرت عقولهم، فلم تعد تعقل ولا تتدبر، فلم يبق إلا الهزء والسخرية ﴿ إِنَّكَ لأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ ثم أعلنوا موت قلوبهم، وجمود عقولهم عن الفهم الصحيح، واختصروا الجدل متكئين على قوتهم ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩١) ﴾ [سورة هود]. وقالوا كما قال الذين من قبلهم: ﴿ وَمَا أَنْتَ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) ﴾ [سورة الشعراء]. ومن ثم يظهر الجهل، وتظهر الجهالة والاستهتار ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) ﴾ [سورة الشعراء].

والنموذج الثالث: يتحدث عنهم شعيب عليه السلام، فهم منه، وهو منهم ﴿ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ...[الآية] (٨٦) ﴾ [سورة الأعراف]. ﴿ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ...[الآية] (٨٧) ﴾ [سورة الأعراف]. ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا... [الآية] (٨٨) ﴾ [سورة الأعراف]. ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ...[الآية] (٩٤) ﴾ [سورة هود].

في قصص موسى عليه السلام

في هذا القصص نلتقي بشخصيتين رئيسيتين: موسى ﷺ، وفرعون. موسى نموذج الخير، المرسل بالهدى من الله إلى آل فرعون ليساعدهم على الخلاص مما هم عليه من كفر وفساد. رعاه الله منذ مولده ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (٣٩) ﴾ [سورة طه]. وآتاه العلم والحكمة ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(١٤) ﴾ [سورة القصص] وفيما بعد ذلك يتجلى أثر هذا العلم وتلك الحكمة فيما يأتي به من أفعال، أو يجرى على لسانه من أقوال؛ فهو ﷺ رابط الجأش، ثابت الجنان، بليغ في كل حواراته مع ربه؛ في التعبير عن أهم متطلبات الدعوة ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) ﴾ [سورة طه]. ومحاذير يخشاها ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ (١٣) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (١٤) ﴾ [سورة الشعراء]. وحين سُئل عن عصاه ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (١٨) ﴾ [سورة طه]. وكان ما

يزال يعاني رهبة اللقاء الأول بربه. وهو كذلك بليغ في كل حواراته مع فرعون ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢١) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٢) ﴾ [سورة الشعراء]. تتجلى هنا بلاغة موسى عليه السلام في رده على فرعون حيث لم يراع ترتيب كلامه فبدأ بتفنيد اتهامه له بالكفر " بأن وضع الضالين موضع الكافرين ربئا بمحل من رشح للنبوة عن تلك الصفة، ثم كر على امتنانه له بالتربية، فأبطله من أصله "[1]؛ فنعمة فرعون التي يمنها على موسى لم تكن في حقيقة أمرها غير نقمة ابتُلي بها قومه بنو إسرائيل، إذ لولا اضطهاده لهم، وما كان من تقتيله لأبنائهم، لما ألقي موسى في اليم، ولما وصل إلى بيت فرعون وتربى فيه!

وأما هربه من الجان الذي انقلب عن عصاه ﴿ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ [سورة القصص: ٣١] . فلأنه كان لم يستوعب الأمر بعد، وما زال الغموض والرهبة يملآن جوانب اللقاء الأول بالله رب العالمين، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذا الخوف الشديد الذي انتابه، سيتحول إلى طمأنينة شديدة فيما بعد،

وهو يواجه سحرة فرعون لا بشيء غير تلك العصا التي رأى من أمرها ما رأى. وثم موقف آخر كان أولى بالخوف والهلع، لكنه كان فيه ثابتا، وذلك حين تبعهم فرعون وجنوده، وأيقن بنو إسرائيل أنهم مدركون ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) ﴾ وأما إلقاء الألواح، وأخذه برأس أخيه يجره إليه (في سورة الأعراف: ١٥٠) فإنما كان ذلك غضبا لله مما فعل بنو إسرائيل في غيبته، حين عاد من ميعاد ربه فوجدهم يعبدون العجل الذي صنعه لهم السامري، ذلك الغضب الذي يتبدى لنا مرة بعد مرة في قصته مع العبد الصالح، فبعد أن وعده بأن يكون متعلما صابرا ولا يعصي له أمرا، نجد طبيعة الغضب للحق تنسيه هذا الوعد، وكان بعد لم يعرف الحكمة من أفعال الرجل. لقد كان يرى الحق حقا فيؤيده، ويرى الباطل باطلا فينكره، ويغيره إن استطاع. إنه ليس نموذج الزعيم المندفع العصبي المزاج[٢]، ربما اندفع مرة في شبابه فقتل عدوه القبطي، حين رآه يقاتل الذي هو من شيعته، لكنه لم يلبث أن عاد إلى ربه نادما على ما فعل ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦) ﴾ وكان ذلك منه غضبا للحق الذي يراه ويؤمن به، فهو لا يرضى عن ذلك القهر والاضطهاد الذي يمارسه قوم فرعون مع بني

إسرائيل. وكما رأينا فقد صدرت أفعاله عن حكمة آتاه الله إياها، منذ مطلع شبابه ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا... [الآية] (١٤) ﴾ [سورة القصص].

وفرعون، نموذج الشر. المعارض الأول لدعوة موسى عليه السلام. من صفاته التي تتجلى في القصص القرآني من خلال علاقاته بالآخرين: الضعف الشديد! فلم يقاوم الدعوة الجديدة بقوة، وإنما بخور بين، وخوف كامن من مجهول، ففي رده على موسى يتساءل فحسب، وكأنه يريد أن يعرف من أمر ذلك الرب ما يرجح عنده أحد أمرين: فهل هو (فرعون) الإله الأوحد؟! أم أن كل هذا محض كذب نشأ عليه، وثم إله آخر يستحق أن يُعبد؟! ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) ﴾ [سورة الشعراء] ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) ﴾ [سورة طه] ﴿ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٦) ﴾ [سورة الأعراف]، وحين يشتد غضبه لا يفعل شيئا غير أن يتهمه بالسحر، ويتحداه بسحرته ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (٥٧) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨) ﴾ أو أن يهدده بالقول ولا يتحرك لفعل شيء مما يقول ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ

دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦) ﴾ [سورة غافر] ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩) ﴾ [سورة الشعراء]. ﴿ إِنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (٥٦) ﴾ [سورة الشعراء]. هكذا دائما يهدد بلسانه ولا يفعل شيئا بيده، كأنما كان يخاف الاقتراب من موسى لأمر ما جلل يتردد في صدره... وهو يبدو في مواقف كثيرة قليل العلم، ضعيف الحجة، بليد الذهن: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ....[الآية] (١٢٣) ﴾ [سورة الأعراف]. و سورة طه (٧١) وفي سورة القصص: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨) ﴾ وفي سورة الشعراء: ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) ﴾ لذلك يعتمد كل الاعتماد على الملإ من قومه يوجهونه كيف شاءوا ﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧) ﴾ [سورة الأعراف].

وثم السحرة، شخصياتهم واضحة محددة، واثقون مما عندهم من علم، سواء في حال اتباعهم فرعون: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ

نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (٦٥) ﴾ [سورة طه]. أو في حال إيمانهم بالله رب العالمين: ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (٧٣) إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَا (٧٤) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (٧٦) ﴾ [سورة طه]. هكذا وكأنهم مؤمنون من زمن بعيد، ويعرفون كل شيء عن هذا الدين الذي اتبعوه وقدموا أنفسهم رخيصة في سبيله.

وآل فرعون، شخصيات خفية، تنفث سموم أفكارها في أذن فرعون، فتقوده إلى هلاكه ﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧) ﴾ [سورة الأعراف]. يرددون كلام المترفين في كل عصر لينهوا الموقف في سرعة ودون جدال كثير ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الأَوَّلِينَ (٣٦) ﴾ [سورة القصص]. وهم فوق ذلك حانثون في

وعودهم ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (١٣٥) ﴾ [سورة الأعراف].

وبنو إسرائيل، هَلِعون، شاكُّون في نصر الله لهم ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩) ﴾ [سورة الأعراف]. مترددون في إيمانهم، يعبدون الله تارة، ويطلبون غيره أخرى ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) ﴾ [سورة الأعراف]. قلة عقلهم ظاهرة، وجهلهم بيِّن، وإضلالهم من أسهل الأشياء ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (١٤٨) ﴾ [سورة الأعراف]. وفي سورة طه ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (٨٨) أَفَلا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلا وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا (٨٩) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (٩١) ﴾.

وفي مدين نقابل أبا المرأتين بفطنته الواضحة وذكائه الوقاد، الذي يتجلى في فهمه قول ابنته على الوجه الذي أرادته هي، لا على ظاهر اللفظ ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ (٢٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) ﴾ [سورة القصص].

وثم شخصية هارون أخي موسى، نقابلها دائما في هدوئها الشديد وورعها وتقواها. حين أخذ موسى برأسه يجره إليه ﴿ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠) ﴾ [سورة الأعراف]. وفي سورة طه: ﴿ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (٩٤) ﴾ في سماحة ولين شديدين.

في قصة يوسف عليه السلام

هاهنا يقابلنا عدد كبير من الشخصيات: يوسف عليه السلام ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ

كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٥) ﴾ هذا يوسف القريب إلى قلب أبيه ﴿ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا...[الآية] (٨) ﴾ يحكي لأبيه رؤياه، فيحذره من إخوته، الذين يكيدون له، مع ذلك، فيجعلونه في غيابة الجب؛ فيلتقطه بعض السيارة؛ فيبيعونه لمصري يؤمل فيه الخير. نحن هنا أمام غلام يتعامل ببراءة مع الآخرين الذين تربطهم به علاقات: علاقة حب من أبيه، وعلاقة حسد وكراهية من إخوته تستمر حتى نهاية القصة حين ﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ...[الآية] (٧٧) ﴾ وهناك علاقة أخرى تتمثل في رعاية ربه له حين ألقي في الجب ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ (١٥) ﴾ على اعتبار أن الوحي كان ليوسف تثبيتا له في هذا الموقف الدقيق.

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢) ﴾ وإحسانه فيما يلي: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) ﴾: شابٌ يافع، وأبوابٌ مغلّقة، وامرأة تعرض نفسها... لكنه لا يتلجلج، ولا يراجع نفسه لحظة واحدة، وهي، إلى ذلك، السيدة الآمرة الناهية... بل يردها في وضوح، وصرامة. إن سلوكه محدد قبلا؛ لقد رأى برهان ربه، رآه هنالك حيث ألقي في الجب- ﴿

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾ ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ فلم يمل قلبه لشيء من ذلك، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ لَوْلاَ أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) ﴾ [سورة القلم]؛ فهو لم ينبذ بالعراء، لتدارك نعمة ربه له. وامرأة العزيز نفسها تقول في اعترافها بعد ذلك: ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ . ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ حركة الفوران تبدأ باستباقهما الباب وقدها لقميصه غيظا منه، وتستمر حين يلفيا سيدها لدى الباب ﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) ﴾ لكن يوسف لم يفعل، بل لم تحدثه نفسه بشيء من ذلك؛ فلم يتردد في وصف ما كان: ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ﴾.... ثم كان ما كان من أمر الشاهد من أهلها، والعزيز، ونسوة المدينة.

أمامنا الآن شاب يافع، يتصرف بحكمة مع الآخرين الذين تربطهم به علاقات: علاقة الرغبة من امرأة العزيز، يقابلها رفضه لتلك الرغبة. وعلاقة الإكبار من نسوة المدينة، ووجهها المقابل هو غيرتهن من امرأة العزيز، التي تنتقم منهن، وتطلب مساعدتهن لها فيما تريد من يوسف... ولكن ثم دائما رعاية ربه له ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ﴾.

وهناك علاقات أخرى: بين العزيز وامرأته، العزيز يتعامل مع الأحداث بحكمة شديدة، يثق في امرأته ثقة مطلقة، وتستمر هذه الثقة يعززها معرفته بيوسف منذ البداية حتى ﴿ أَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ وهنا لا تتحول هذه الثقة بل تستمر... فلا نسمع منه شيئا إلا بعد أن هدأت الأحداث: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩) ﴾... وامرأته حضورها طاغ، نراها ضعيفة أمام رغبتها العارمة؛ راودت يوسف وقد نشأ في بيتها، كابنها.. قوية الأعصاب لم تتلجلج أمام زوجها وقد رآها في موقف دقيق، وإنما بادرته بذهن واع، وبديهة حاضرة ﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) ﴾ وتمادت في غيها لترد على مكر النسوة، ثم تعلن في صراحة: ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢) ﴾..

لكن، لعله موقف عابر، ولا ينبغي أن ننساق وراء حكم الهوى الذي يلذ له تشويه المرأة وسمعتها؛ فالذي يظهر من القرائن أنها كانت شريفة في قومها، يثقون فيها وفي عفتها، بدليل شهادة الشاهد من أهلها؛ فلو أنها كانت متهمة عنده ما شهد بما شهد به، فكأنه كان

متأكدا من عفتها، ومن وقوع يوسف- الشاب الحدث- في الخطأ وهو الأقرب إلى تصور العقل... ثم نجد استنكار نسوة المدينة وقوع هذا الأمر منها.. وكأنهن فوجئن به، ولو أنه كان عهدهن بها لما اهتممن له.. حتى رأين ما تعاني- برؤيتهن يوسف؛ فعذرنها.. لقد كان بابا مؤقتا للغواية انفتح، وولجته امرأة العزيز ولم تستطع العودة فتمادت في الغي مدفوعة بقوى غريزية، تريد تأكيد أنوثتها وطغيانها أمام نسوة المدينة، ولا تريد أن تسلم بالهزيمة أمام هذا الفتى الحدث... لكنها تعود لرشدها بعد ذلك فتعترف في ثبات- تمتعت به دائما- بخطئها ونفسها الأمارة بالسوء... ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢) وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥٣) ﴾.

ولبث في السجن بضع سنين، ظهر فيها علمه بتأويل الأحاديث، وحكمته، وإيمانه بالله وحده، ومن ثم دعوته لصاحبي السجن إلى إفراد الله بالعبادة، واستخلصه الملك لنفسه ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) ﴾ ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ

الْمُحْسِنِينَ (٩٠) ﴾ وهكذا نبأهم بأمرهم، وسامحهم بقلب كبير، إنه كان من المحسنين.

في قصص سليمان عليه السلام

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) ﴾ [سورة ص]، وكان من أوابيته ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ (٣٣) ﴾ ونحن نفهم من الآيات، أن الصافنات الجياد كانت الفتنة التي فُتن بها سليمان ثم آب إلى ربه ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥) ﴾ ولنا أن نتساءل عن علاقة الدعاء الذي دعا به: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾- علاقة ذلك بالفتنة التي فُتِنها، فالمنطقي أن تكون التوبة عن شيء متضمنة الاعتذار عن ذلك الشيء، وهو استغفر ربه ثم استوهبه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده. فهل استوهبه ذلك الملك لأنه عقر الصافنات الجياد- مع حبه الشديد لها- تقربا إليه، فكان الملك الذي وُهِبه بديلا لتلك الخيل، يقوم

بوظيفتها ويزيد عليها من عطاء ربه ؟ (على مشهور التفاسير). أم أنه استوهبه ذلك الملك بعمله الذي يظهر فيه أوابيته، وشكره لله، حين طلب رد الصافنات الجياد، وطفق يمسح على سوقها وأعناقها حبا لها، وحنوا عليها، وعرفانا بفضل الله ونعمته عليه، ويسأل الله أن يفرده بهذه النعمة وما تنطوي من خير، هو عنده في سبيل الله؛ فزاده الله: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٣٨) ﴾ أما الجسد: فلعل هذا الوصف كان له بسبب جلوسه لرؤية الخيل، محبا ذلك عن ذكر ربه، فكان كالجسد الذي لا روح فيه.... والله أعلم. فنحن مع سليمان عليه السلام، مع عبد أواب آتاه الله ملكا واسعا، فسخر له الريح والشياطين [سورة ص (٣٦- ٣٨)، وسورة سبا (١٢)] وآتاه علما وعلمه منطق الطير..... سورة النمل (١٥- ١٦).

ونحن هنا نقابل شخصيات من غير البشر، تسهم بدور كبير في الكشف عن طبائع شخصية سليمان، فهناك النملة ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٨) ﴾ [سورة النمل]. فالنملة كائن عاقل يفكر ويقول: إذ تحذر النمل من تحطيم سليمان وجنوده لهم، وهم لا يشعرون، فذلك منهم

ليس عن عمد، فهم ليسوا من الظالمين. وسمعها سليمان فشكر ربه. وهناك الهدهد ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢١) ﴾ [سورة النمل]. فلاحظ غياب الهدهد، ولم يتساهل بل توعده بالعذاب أو الذبح، إن لم يأته بسلطان مبين، وقد جاءه به، فلم يشعره برضاه الكامل عنه ﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) ﴾ وهو يعلم صدقه، ولذلك يرسله إلى سبأ بكتاب منه: ﴿ أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) ﴾ بأمر صاحب القوة والسلطان. تقول ملكة سبأ: ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً... [الآية] (٣٤) ﴾ وحين ترسل إليه الهدية ينتفض غضبا ﴿ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا ءَاتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا ءَاتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧) ﴾ وكان يتحدث عن فضل الله عليه، في تعريف مباشر منه لشخصيته ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) ﴾ وهنا أراد أن يري ملكة سبأ هذا الفضل من الله، فنقل عرشها عنده ﴿ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ ربي... [الآية] (٤٠) ﴾.

ومن صفاته كذلك أنه عليه السلام، مع ما أوتي من علم، إلا أن هناك علما كثيرا لم يحط به. يقول له الهدهد ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) ﴾ فلم يكن يعلم شيئا من أمر هؤلاء القوم.

وثم ملكة سبأ: في وصف الهدهد لها ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ (٢٤) ﴾ كانت تشرك الملأ من قومها في الرأي، وكانت هي ذات رأي ودهاء؛ حيث قالت رأيها في كتاب سليمان ﴿ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) ﴾. وحيث قالت رأيها في الملوك ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً... [الآية] (٣٤) ﴾ وحيث رأت أن تختبر سليمان بهديتها ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) ﴾ وحيث لم تؤمن إلا بعد اليقين. فحين رأت عرشها عند سليمان أوشكت ولم تسلم، ثم عندما رأت الصرح الممرد من قوارير، وعلمت أن ذلك ليس من فعل البشر ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٤٤) ﴾.

في قصة عيسى ابن مريم

عليهما السلام

نجد نموذج الخير: عيسى عليه السلام ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا... [الآية] (٢١) ﴾ [سورة مريم] فكان آية منذ ميلاده، وكان رحمة ﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢٦) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ﴾ [سورة مريم] ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ءَايَةً لِلْعَالَمِينَ (٩١) ﴾ [سورة الأنبياء]. هكذا ارتبط ميلاده بالمعجزة، وجاء بني إسرائيل مؤيَّدا كذلك بمعجزة

من الله: ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ... [الآية] (٤٩) ﴾ [سورة آل عمران].

وفي قوله ﷺ ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨) ﴾ [سورة المائدة]. هنا نرى نفسا محملة بالرحمة للإنسانية جمعاء. وحين طلب الحواريون مائدة ليأكلوا منها وتطمئن بها قلوبهم ويعلموا أنه قد صدقهم ويكونوا عليها من الشاهدين. أسرع يطلب إنزال المائدة من ربه رغبة خالصة في إيمانهم، وذلك رحمة بهم.

وثم مريم ﴿ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) ﴾ [سورة مريم]. بما يحمل من معاني الإشراق والاقتراب من النور والهدى، ثم كان ما كان من حملها وتمنيها الموت قبل هذا، ثم إتيانها قومها تحمله بعد أن رأت المعجزة ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ءَايَةً لِلْعَالَمِينَ (٩١) ﴾ [سورة الأنبياء]. وكانت قد تقبلها ﴿ رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ

هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧) ﴾ [سورة آل عمران].

وفي قصة زكريا التي ترتبط بقصة عيسى عليه السلام، نجد زكريا عليه السلام شيخا ضعيفا، وحيدا في قومه، علاقته بربه وثيقة يناجيه في حب وثقة ويدعوه رغبا ورهبا ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) ﴾ [سورة مريم]. و بعدها حين يُبشر بيحيى يطلب آية؛ فهو بشر وهذا شعور طبيعي لاجتماع النقيضين: الثقة الكبرى بقدرة ربه على أن يهب له غلاما، والقلق لطبيعة الحال من كبره وعقم امرأته.

في قصة قارون

﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ.... [الآية] (٧٦) ﴾ [سورة القصص]. كان إسرائيليا باغيا على قومه، ثريا واسع الثراء، مغرورا بماله، متكبرا على النصح والعظة، مصرا على الفساد، لا يأتي من كلامه إلا قوله: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ (٧٨) وبعد ذلك يُعرض

في لقطة سريعة ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ (٧٩) كانت فتنة لقومه؛ فانقسموا إلى فريقين:

الضعفاء الذين تمنوا مثل ما عنده ظانين أن ما هو فيه رضا من الله عليه. ولم تزل غشاوة أبصارهم إلا بعد هلاكه؛ فعلموا أن الله يوسع الرزق، ويقدره بحسب الحكمة والمشيئة، لا بحسب الكرامة والرضي، ولا بحسب الهوان.

والفريق الآخر: المؤمنون، العقلاء من قومه ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ يعلمون الحق، ويفرقون بين الخير الحق الذي يدوم، والخير الوهم الذي ما يلبث أن يزول. حاولوا تبصير الضعفاء بالحقيقة التي غابت عنهم، فالمراد هو ثواب الله في الآخرة، أما في الدنيا فذاك ابتلاء لا رضى.

تعقيب

نخلص من هذا العرض لشخصيات السرد بنتيجة واضحة، هي سيطرة نموذجين متقابلين على شخصيات القصص: نموذج الشر، ويبدأ مع قصة الخلق الأول، متمثلا في شخصية إبليس، ويمتد إلى بقية القصص متمثلا في أتباعه السائرين على دربه من المكذبين الضالين.

ويقابله نموذج الخير، الذي يمثله دائما أنبياء الله المرسلون بالهدى منه تبارك وتعالى، وأتباعهم من المؤمنين المهتدين.

ونستطيع، مستضيئين بالنموذج العاملي[٣] عند جريماس Greimas أن نضع العلاقات القائمة بين هذين النموذجين في الشكل التوضيحي التالي:

(الدعوة)

يقوم بها الرسول

↘ ↙

يتبعه المهتدون	يكذب به الضالون
(مساعد)	(معوق)
⬇	⬇
(إنجاء)	(إهلاك)
حزب الله	حزب الشيطان

ومن خلال هذا الرسم نستنتج وجود نوعين من العلاقات: علاقات بين البشر وبعضهم، كعلاقة الرغبة: رغبة الأنبياء في هداية

أقوامهم، والخلاص بهم من حبائل الشيطان، ورغبة المكذبين- اتّباعا لرغبة قائدهم إبليس- في الخلاص من المؤمنين، ورغبة المؤمنين في هداية الضالين.

وعلاقات بين الله وأنصاره: الرعاية، والإنجاء من مكر المكذبين وبطشهم، والتمكين لهم.

وبين الله تعالى وحزب الشيطان من الكافرين المكذبين؛ اللعنة والإهلاك في الدنيا والآخرة.

الهوامش

(١) الزمخشري: الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ط٣ القاهرة ١٩٨٧: ٣/ ٣٠٦

(٢) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن. دار الشروق، ط١١، ١٩٨٩، ص ٢٠٠

(٣) هذا النموذج وضعه **Greimas** معتمدا على الفصل السادس بصفة خاصة من كتاب بروب: " مورفولوجيا الحكاية الخرافية " حيث استطاع من خلاله بلورة نموذج من ستة محاور متضمنة في ثلاث علاقات رئيسية، هي علاقة الرغبة **Désir** وعلاقة التواصل **Communication** وعلاقة التنازع **Lutte**. انظر، **Jean-Michel Adam, Le récit, P. 59 - 61**، واعتمد **Todorov** على هذا النموذج في تحليله لنسق العلاقات في رواية " العلاقات الخطيرة " انظر: **Tzvetan Todorov, Les catégories du récit Littéraire, P. 138 - 144** والأدب والدلالة، ترجمة محمد نديم خشفة، ط١، ص: ٥٠



البنية الزمنية

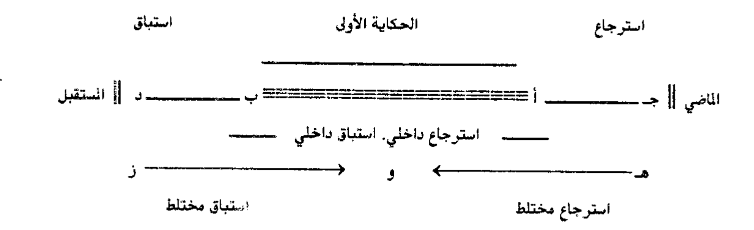
البناء القصصي في القرآن الكريم

البنية الزمنية

إن دراستنا للزمن السردي، تعني أساسا دراسة العلاقات القائمة بين زمن المدلول وزمن الدال. بين زمن القصة التي وقعت بالفعل، وزمن السرد الذي يعيد صياغتها، لا كما وقعت وإنما كما يريد السارد، تركيزا على أحداث، وتركا لأحداث أخرى، تبعا لأهمية بعضها أو عدم أهميته. فإذا كان زمن القصة تاريخيا بمعنى أنه يخضع للتتابع المنطقي للأحداث وفقا لتسلسلها الزمني، فإن زمن السرد لا يخضع لأي قيد من ذلك، مما يؤدي إلى حدوث ما أطلق عليه جنت Genette اسم المفارقات الزمنية (Anachronies) الذي يعني مختلف أشكال التنافر الزمني بين ترتيب القصة، وترتيب الحكاية، وهذه المفارقات قد تكون هي بدورها استباقا (Anticipation) لأحداث لاحقة، أو استرجاعا (Rétrospection) لأحداث ماضية، ويمكن للمفارقة الزمنية- كما يقول- أن تذهب في الماضي أو في المستقبل، بعيدا أو غير بعيد عن اللحظة

الحاضرة، التي يتوقف فيــها السرد، تاركا مكانا للمفارقة الزمنية، هذه المسـافة الزمنية يسـميها مدي المفارقة الزمنية (Portée de l'anachronie) التي ربما اشتملت، هي نفسها، على مدة قصصية طويلة أو قصيرة، هذه المدة يسميها سعة المفارقة (Amplitude).[1]

ويمكننا وضع هذا التصور في الرسم التوضيحي التالي، حيث تمثل المسافة (أ- ب) الحكاية الرئيسية التي يتم حكيها، وتمثل حاضر السرد. هذه الحكاية ترتبط بعلاقات مع الماضي (استرجاعات: جـ- ا / هـ- و) ومع المستقبل (استباقات: د- ب / ز- و):



الاسترجاعات[2] (Analepses)

هي عودات إلى الماضي تمثل- قياسا إلى الحكاية المندرجة فيها- حكاية ثانية زمنيا، حيث يتوقف تنامي الأحداث باستعادة أحداث

ماضية بالنسبة لزمن السرد " وبصفة عامة، فإنه بالقياس إلى مفارقة زمنية ما، يمكن لمجموع السياق أن يمثل حكاية أولى "[3].

والاسترجاعات تنقسم إلى ثلاثة أصناف: خارجية، وداخلية، ومختلطة: الاسترجاع الخارجي هو ذلك الاسترجاع الذي تظل سعته كلها خارج النطاق الزمني للحكاية الأولى[4]. والاسترجاعات الداخلية، على عكس السابقة، تظل سعتها محصورة داخل النطاق الزمني للحكاية الأولى، والنوع الثالث الاسترجاعات المختلطة، تكون نقطة مداها سابقة لبداية الحكاية الأولى، ونقطة سعتها متعدية لها[5]. والاسترجاعات الخارجية لا توشك في أي لحظة أن تتداخل مع الحكاية الأولى لأن وظيفتها الوحيدة هي إكمال تلك الحكاية عن طريق تنوير القارئ بخصوص هذه السابقة أو تلك، وليست الاسترجاعات الداخلية كذلك، حيث إن حقلها الزمني متضمن في الحقل الزمني للحكاية الأولى لارتباطها بممارسة البداية من الوسط مستعيدة السابقة السردية كلها. لذلك فهي تنطوي على خطر الحشو والتضارب.

الاستباقات (Prolepses)

هنا أيضا يميز جنت Genette بين استباقات داخلية وأخرى خارجية. حيث إن حد الحقل الزمني للحكاية الأولى يتعين بوضوح بواسطة المشهد الأخير غير الاستباقي. فالاستباقات الخارجية كذلك تظل سعتها كلها خارج النطاق الزمني للحكاية الأولى، بينما الاستباقات الداخلية تظل سعتها داخل نطاق الحكاية الأولى، تماما كما في الاسترجاع الداخلي " وتطرح الاستباقات الداخلية أنواع المشكلات نفسها التي تطرحها الاسترجاعات الداخلية، مثل التداخل، واحتمال ازدواج العمل بين الحكاية الأولى والحكاية التي يتولاها المقطع الاستباقي[٦]. والاستباقات التكرارية قلما توجد إلا في حالة إشارات وجيزة، تُرجِع مقدما إلى حدث سيروى بعد ذلك بالتفصيل- وهي في ذلك كالاسترجاعات التي من النمط نفسه- وإذا كانت الاسترجاعات التكرارية تؤدي وظيفة تذكير لمتلقي الحكاية، فإن الاستباقات التكرارية تؤدي دور إعلان له[٧] وهو يفرق هاهنا بين الإعلانات الصريحة أصلا، وما يستحق أن يسمى طلائع، التي هي مجرد علامات بلا استشراف ولو تلميحي، لن تكتسي دلالتها إلا فيما بعد " فالطليعة- بخلاف الإعلان- في مكانها من النص،

ليست– في الأساس– غير بذرة غير دالة، بل خفية لن تظهر قيمتها إلا فيما بعد، وبكيفية استعادية "[8].

ونتيجة لدراسة العلاقات بين الزمنين: زمن الدال وزمن المدلول نجده– إلى جانب حديثه عن الترتيب، أو النظام (L'ordre)– يتحدث أيضا عن المدة أو الديمومة أو الاستغراق[9] (La durée) وعن التواتر (La fréquence).

فعن المدة يرى جنت أن مقارنة مدة السرد القصصي بمدة القصة التي يرويها هذا السرد، عملية أكثر صعوبة من دراسة الترتيب والتواتر، وذلك لسبب بسيط هو أن أحدا لا يستطيع قياس مدة سرد ما، ومن ثم نفتقد النقطة المرجعية أو درجة الصفر التي هي في حالة الترتيب تزامن بين المتتالية القصصية والمتتالية السردية[10]، ومن ثم يرى أنه يجب العدول عن قياس تغيرات المدة إلى ملاحظة الإيقاع الزمني، المتمثل في الحركات السردية الأربع: الحذف، والوقفة الوصفية، وبينهما وسيطان هما: المشهد والمجمل[11].

أما الحذف (Ellipse): فهو أقصى سرعة يمكن أن يسير بها السرد، وتتمثل في تخطيه لأحداث بأكملها دون الإشارة إليها، وكأنها

ليست جزءا من المتن الحكائي؛ كإلغاء التفاصيل الجزئية أو الأحداث قليلة الأهمية في سياق ما..... إن مدة السرد هنا تساوي صفرا، بينما مدة الحكاية تشغل حيزا في التاريخ طال أم قصر. وينقسم الحذف إلى أنواع ثلاثة:

١- حذف صريح (Explicite) وينتج إما عن إشارة (محددة أو غير محددة) إلى المدة الزمنية المحذوفة، وفي هذه الحالة فإن هذه الإشارة هي التي تشكل الحذف بما هو مقطع نصي، والذي لا يساوي عندئذ الصفر تماما. وإما عن حذف مطلق (درجة الصفر في النص الحذفي) مع إشارة إلى الزمن المنقضي عند استئناف الحكاية، وهذا الشكل الأخير- يقول **Genette** - حذفي بصرامة أكبر، وهو ليس أكثر إيجازا بالضرورة، لكن النص يومىء في هذا الشكل إلى الإحساس بالفراغ السردي أو الثغرة إيماءة أكثر تماثلية (**Analogique**).

٢- حذف ضمني (**Implicite**) ولا يصرَّح في النص بوجوده، وإنما يُستدل عليه من ثغرة في التسلسل الزمني، أو انحلال للاستمرارية السردية.

٣- حذف افتراضي (خالص الافتراضية) (hypothétique)

وهو أكثر أشكال الحذف ضمنية، وتستحيل موقَعته، بل أحيانا يستحيل وضعه في أي موضع كان، وإنما ينم عنه استرجاع ما بعد فوات الأوان.

الوقفة الوصفية (pause): وهي، على عكس الحذف، السرعة الدنيا التي يمكن أن يسير بها السرد، و هي عبارة عن توقفات وصفية تقطع المسار الزمني للسرد، مما يعطي إحساسا بتوقف الزمن بينما يستمر السرد في تقديم الكثير من التفاصيل الجزئية، حول موضوع ما.

المشهد (scène): وفيه يترك السارد الأحداث تتوالى بنفسها دون تدخل منه، فتتركز الأحداث من ثم وتعرض بكل تفاصيلها، وفيه يتطابق زمن القصة وزمن الحكاية.

المجمل (sommaire): هو اختصار أحداث جرت في عدة أيام، أو شهور، أو سنوات في بضع فقرات أو بضع صفحات، دون تفاصيل أعمال أو أقوال[١٢]، وهو ربما يشغل مكانة محدودة في مجموع المتن السردي، ويمثل وسيلة الانتقال الأكثر شيوعا بين مشهد وآخر، أو يمثل الخلفية التي يتمايز كلاهما عليها.

وأما عن التواتر السردي (La fréquence) أو علاقات التكرار بين القصة والسرد، فإن ذلك لم يدرس إلا قليلا قبل جنت[١٣]، الذي يراه مظهرا من المظاهر الأساسية للزمنية السردية، إذ إن الحدث ليس بقادر على الوقوع فحسب، بل يمكنه كذلك أن يقع مرة أخرى، أو أن يتكرر عدة مرات، وفي المقابل فإن الملفوظ السردي هو الآخر يمكنه أن يقع مرة أخرى، أو أن يتكرر عدة مرات. وبين قدرة الحدث، وقدرة الملفوظ السردي على التكرار يقوم نسق من العلاقات. فيمكن لحدث وقع مرة واحدة أن يُروى مرة واحدة، ويطلق على هذا النمط اسم الحكاية التفردية (récit singulatif) وهي تخرج بذلك عن حد التواتر؛ إذ ليس هناك تكرار لا على مستوى الحدث، ولا على مستوى السرد. وأما النمط الثاني ففيه يُروى مرات لا متناهية ما وقع مرات لا متناهية. ويرده إلى النمط الأول لتوافق تكرارات الحكاية مع تكرارات السرد. فهو يرى أن التفردي لا يتحدد بعدد مرات وقوعه من الجانبين، بل بتساوي هذا العدد. والنمط الثالث: أن يُروى مرات لا متناهية ما وقع مرة واحدة، وهذا النمط يسمى الحكاية التكرارية (récit répétitif) وأما النمط الرابع ففيه يُروى مرة واحدة ما وقع مرات لا نهائية. ويسميه (récit itératif)[١٤] هذا ونلفت إلى أن جنت Genette يرى

أن التكرار بناء ذهني يتحقق باستبعاد خصوصية كل حدث، مع الاحتفاظ بالمشترك بين الأحداث المتشابهة ويكون ذلك بتجريد الأحداث من سياقاتها، ومن دلالات مواقعها الخاصة التي تكسبها دائما معنى جديدا يخرجها من دائرة التكرار.

ولنبدأ الآن بوصف البنية الزمنية للقصة القرآنية، لنرى كيف تتشكل العلاقة بين زمن الحكاية، وزمن الخطاب.

قصص آدم عليه السلام

أ- في سورة ص

تبدأ القصة بمشهد استباقي إعلاني لما سيكون من خلق آدم من طين، ومن ثم طلب الله إلى الملائكة أن يسجدوا له ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) ﴾ يلي ذلك حذف زمني لمدة إنجاز الخلق، هذا الحذف يؤدي دورا مهما في إضاءة جانب من جوانب صفات الملائكة هي: الطاعة والتسليم دون إبطاء، حيث يلي ذلك إيجاز لأحداث سجود

الملائكة واستكبار إبليس ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) ﴾ ثم تختم القصة بمشهد حواري طويل بين الله وإبليس: إبليس يطلب الإنظار إلى يوم البعث والله تعالى يجيبه إلى طلبه، ويتوعده هو ومن سيتبعه أجمعين.

وفي القصة يتجلى التواتر السردي في قوله تعالى على لسان إبليس: ﴿ لأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) ﴾ مستعملا الفعل المضارع للدلالة على تجدد الإغواء واستمراره إلى يوم البعث. فالقصة ماضية مستعادة، والإغواء متجدد مستمر. تبدأ القصة بالفعل الماضي ثم لا تنتهي بل تنفتح على المستقبل إلى يوم البعث. فحاضر إنجاز السرد بعيد جدا عن واقع القصة التاريخي، لكنهما يتزامنان في المشهد حيث يصبح زمن السرد هو نفسه زمن القصة، ونصبح وكأننا حضور نشاهد ذلك المشهد الذي يدور أمام أعيننا، ونستمع إلى الحوار الذي يحمله. وبدهي أن ناقل الحوار لابد وأن يكون قد استمع إليه من قبل. فكيف لمحمد ﷺ أن يأتي به لولا الوحي ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلإِ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٧٠) ﴾.

ومن ثم يتشكل السرد على النحو التالي:

مشهد ← حذف ← إيجاز ← مشهد..

فالمشهد على هذا يؤطر السرد القصصي هاهنا ويهيمن عليه.

ب- في سورة الأعراف

تبدأ القصة مع لحظة إنجاز سردي متأخرة كثيرا جدا عن زمن وقوع الأحداث، يخاطب الله تعالى البشرية ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١) ﴾ ثلاث لقطات سريعة: الخلق، والتصوير، وسجود الملائكة وامتناع إبليس. يلي ذلك مشهد حواري طويل بين الله وإبليس، تتجلى فيه سمة من سمات التواتر ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) ﴾ فثم فعل يتكرر كثيرا هو إغواء إبليس لآدم وذريته، وإبليس لا يدخر وسعا في هذا السبيل، ويعبر السرد عن ذلك بتكرار الإغواء في كل مرة بشكل مختلف، ينتهي بوقوع الإنسان في دائرته التي تحيط به من كل جانب: من الأمام، ومن

الخلف، وعن اليمين، وعن الشمال.. وينتهي المشهد بإخراج إبليس مذؤما مدحورا مُتَوَعَّدا هو ومن تبعه. ومن ثم يلتفت السياق إلى آدم يخاطبه ربه ﴿ وَيَا ءَادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) ﴾ التفات مباشر من خطاب إبليس وما فيه من عقاب إلى خطاب آدم، وتحذيره أن يقرب هذه الشجرة. وبعد حذف دال على ما كان من سكنى آدم وزوجه الجنة، يأتي مشهد فيه ما كان من إغواء الشيطان لهما ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) ﴾.... وحدث الوسوسة هاهنا يعد مشهديا هو الآخر، فبالرغم من كون الحوار هو الشكل الأكثر تمثيلا للمشهد، فالسرد المفصل لحدث ما يجب اعتباره كذلك مشهديا[١٥] فالمفارقة الزمنية التي بدأ بها السرد يتقلص مداها البعيد مع المشهد الحواري بين الله وإبليس، حيث يتزامن كل من المبنى الحكائي والمتن الحكائي حتى نهاية الحكاية، التي تنفتح على زمن آخر لاحق لزمن جريانها ﴿ يَا بَنِي ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عليكمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذكَّرُونَ (٢٦) ﴾.... فالمشهد مستمر

بخطاب الله تعالى إلى بني آدم، الذي يبين فيه أن ثم لباسا معنويا، غير اللباس المادي، هو ذلك الذي نُزع عن آدم وزوجه، وهو الذي يحذرنا الله تعالى أن نقع فيه مرة أخرى- إنه لباس التقوى، أي دوام الخوف من الله الجليل.

جـ- في سورة طه

تبدأ القصة باستباق تمهيدي (داخلي) ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى ءَادَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥) ﴾ بعد ذلك تبدأ الحكاية بسجود الملائكة وامتناع إبليس، وتحذير آدم من عداوته، لكنه ينسى التحذير ويستمع لوسوسة الشيطان ويعصي ربه فيغوى ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عليهِ وَهَدَى (١٢٢) ﴾ هكذا في إيجاز سريع، لنعود إلى المشهد مع الهبوط إلى الأرض، الذي يحمل معنى التجدد والتكرار: تجدد العداوة، وتكرار الرسالات ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) ﴾ ويتحول إذ ذاك الزمن إلى المشهد الاستباقي (الخارجي) حيث ننتقل إلى الآخرة ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦) ﴾ هاهنا أيضا يبدأ السرد

بمفارقة واسعة المدى، ما تلبث أن يتلاشى مداها مع المشهد الحواري الذي يسيطر على السرد، فيلغي المسافة الفاصلة بين زمني السرد والقصة، ويصبح من ثم زمن القصة هو زمن السرد.

د- في سورة الإسراء

هاهنا تتكون القصة كلها من مشهد استعادي، نرى فيه تكريم الله لآدم حيث أمر الملائكة بالسجود له، ونرى فيه حسد الشيطان لآدم وعصيانه لأمر الله ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) ﴾ ثم حوار طويل بين الله وإبليس، يتجلى فيه التواتر السردي الذي يأتي دائما مع توعد إبليس لبني آدم ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ على لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلا (٦٢) ﴾ فما يزال إبليس يستميل ذرية آدم، ويجتهد في إغوائهم وإضلالهم إلى يوم القيامة. وكذلك في قوله تعالى ﴿ قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (٦٣) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عليهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا (٦٤) ﴾ نجد حدث الإغواء يتكرر في صور مختلفة في كل مرة، ولكن تكراره هاهنا يتم من وجهة نظر مختلفة. فهو في النهاية، وبعد كل ما أخبره به الله،

أعجز عن أن يستطيع شيئا، فلا سلطان له على أحد، بله أن يكونوا هم عباد الله.

هـ- في سورة الحجر

هاهنا تبدأ القصة باستباق إعلاني، يكشف عن طبيعة المادة المكونة لكل من الإنسان والجان، هذه الطبيعة التي سيكون لها دور مهم في توجيه الأحداث فيما بعد ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَال مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٧) ﴾ يلي ذلك مشهد حواري بين الله تعالى والملائكة، نرى فيه أثر تلك الطبيعة، وكيف أن السبب الرئيس الذي تعلل به إبليس لرفضه السجود لآدم، هو أن آدم مخلوق طيني ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَال مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إلاّ إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يا إبليس مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَال مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٣٣) ﴾ ومن ثم يلي مشهد حواري طويل بين الله وإبليس، نجد فيه التواتر السردي الذي يتجلى دائما في هذا الحوار. يقول تعالى: ﴿ وَإِنَّ عليكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) ﴾ فاللعنة متجددة على إبليس إلى يوم الدين،

وفي المقابل يرد إبليس: ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) ﴾ فتزيينه المعاصي، وإغواؤه لبني آدم مستمر متجدد أيضا إلى يوم البعث. فلحظة إنجاز السرد تفصلها مسافة كبيرة عن زمن وقوع القصة، لكن المشهد الحواري الذي يسيطر على المبنى الحكائي، يمنحنا إحساس المشاركة برؤية الأحداث كما وقعت، لحظة بلحظة، وكلمة كلمة مستغرقا الزمن نفسه الذي يحتاجه الحوار.

و- في سورة البقرة

تبدأ القصة بمشهد، يُذكِّر فيه صاحب الوحي جل وعز نبيه الكريم ﷺ بقصة استخلاف آدم، عليه السلام، في الأرض التي جعلها الله للناس جميعا ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) ﴾ وللمرة الأولى، في قصص آدم عليه السلام، نسمع صوت الملائكة في حوار مع الله. دائما كان إبليس هو صاحب الحوار، لكن لا صوت له هنا، فقط صوت الملائكة، في تساؤل حيي، لا في مراجعة وقحة كما كان من إبليس، استفسارا عن الحكمة من أن يجعل الله في الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء، ويقرنون تساؤلهم

بأنهم يسبحون بحمده ويقدسون له، بما يوحي بخوفهم من أن يكون قد وقع منهم تقصير أوجب جعل هذا الخليفة.

ويلي ذلك إيجاز، يومىء إلى استعداد آدم للعلم، وربما كان ذلك هو سر استخلافه[١٦] ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ (٣١) ثم يعود المشهد الذي يهيمن على القصص، يتخلله إيجاز من حين لآخر، لأحداث ينبغي معرفتها إجمالا ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ (٣٦) ﴿ فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عليهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) ﴾ نرى من خلاله كرامة آدم على الله تعالى، وما كان من خطيئة، وتوبة، وهبوط إلى الأرض مشمول برعاية الخالق سبحانه وتعالى.

قصص نوح عليه السلام

أ- في سورة القمر

تعرض القصة في أربع صور متتالية شديدة الإيجاز ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) ﴾ ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (١٠) ﴾ ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١)

وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) ﴾ ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٤) ﴾ في هذه الصور نجد خلاصة الأحداث. لا نجد تاريخ الدعوة الطويل، وما صاحبه من تحولات، بل نجد تكذيب الدعوة، والاستنصار، ومن ثم الإهلاك والنجاة. إن الدعوة لفي بداياتها، وكفار مكة يسارعون بالتكذيب، وقبلهم كذب قوم نوح.

ب- في سورة الأعراف

تبدأ القصة بمشهد استعادي، بالنسبة لحاضر السرد ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عليكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) ﴾.... وما بعدها، فيه ما كان من إرسال نوح عليه السلام ودعوته وتكذيب قومه، وتنتهي بإيجاز يجمل أحداثا كثيرة مفصلة في غير هذا الموضع ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤) ﴾ وليس السياق في حاجة إلى تفصيل، فهكذا كان موقف قوم نوح من دعوة نبيهم لهم، وهكذا فعل الله بهم، والله لا يهلك قوما إلا بعد أن يرسل إليهم من يدعوهم، ويبين لهم طريق الهدى.

جـ- في سورة الشعراء

تبدأ القصة باستباق تمهيدي، يعلن عن قصدية القصة ﴿ كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) ﴾ ثم يأتي تفصيل ذلك التكذيب في مشهد حواري بين نوح عليه السلام وقومه ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُون (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عليه مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُون (١١٠) قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ (١١١) ﴾.... وتنتهي بإيجاز، يجمل عاقبة هؤلاء القوم المكذبين، مقرونا بجزاء الفريق المؤمن ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُون (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠) ﴾ وما زال المشهد الحواري هو النمط المهيمن في القصص.

د- في سورة يونس

في مشهد تعرض القصة ما كان من تحدي نوح عليه السلام لقومه، ثم تأتي الخاتمة في إيجاز ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (٧٣) ﴾.

هـ- في سورة هود

تبدأ القصة بمشهد استعادي ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٥) ﴾ ويستمر حوار طويل بين نوح وقومه، يقطعه مشهد خارجي عن القصة ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعلى إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ (٣٥) ﴾ لنعود مع مشهد استباقي ﴿ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٣٧) ﴾ ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عليه مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) ﴾ في تواتر وتكرار، فالسخرية تتكرر لأن المرور يتكرر. ثم يعود المشهد الحواري المهيمن دائما ﴿ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عليه عَذَابٌ مُقِيمٌ (٣٩) ﴾ ثم يلي ذلك حذف غير خالص ﴿ حتى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾ أي أن الأمر ظل على هذا النحو من سخرية قومه، وصبره على أمر الله بصناعة الفلك، حتى جاء أمر الله وفار التنور. ومن ثم يعود المشهد الحواري ﴿ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عليه الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ﴾ ويستمر المشهد يتخلله إيجاز يُجمل

أحداث ما بعد الطوفان ﴿ وَقِيلَ يا أرض ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤) ﴾ وتختم القصة بحوار بين الله تعالى ونوح عليه السلام حتى ﴿ قِيلَ يا نوح اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عليكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٨) ﴾.

و- في سورة نوح

تتكون القصة من مشهد طويل، يبدأ باستباق إعلاني يكشف عن وظيفة نوح عليه السلام في السرد، وهي الإنذار ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إلى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢) ﴾.... يتخلله إيجاز ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا (٢٥) ﴾ وتنتهي بالمشهد ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا(٢٨) ﴾.

ز- في سورة المؤمنون

تتكون القصة كلها من مشهد حواري بين نوح عليه السلام وقومه من جهة، وبين نوح وربه من جهة أخرى.

ح- في سورة العنكبوت

هاهنا للمرة الأولى تتحدد مدة المحذوف ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ(١٤) ﴾ وهاهنا نرى كيف أن الحذف حذف بلاغي دال، فقوله تعالى ﴿ فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ يدل بوضوح على ما كان منهم في هذه المدة الطويلة من ظلم أوجب أخذهم بالطوفان. إنه ليس حذفا بقدر ما هو إيجاز.

قصص هود عليه السلام

أ- في سورة القمر

تبدأ القصة من النهاية وبعد تكذيب عاد، باستباق يعلن عن وجهة السرد ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨) ﴾ ومن ثم توجز كيف كان عذاب الله الواقع بهم ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عليهمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠) ﴾ فالمسافة الفاصلة بين اللحظة الحاضرة للسرد ووقت وقوع الأحداث

مسافة كبيرة، فالسرد كله استرجاع لقصة نموذج من المكذبين والعقاب الذي حاق بهم في الدنيا.

ب- في سورة الأعراف

تأتي القصة في مشهد حواري بين هود الرسول عليه السلام وقومه، منذ إرساله وتكذيب قومه له (٦٥- ٧١) إلى أن تختم بإيجاز أحداث النجاة والإهلاك ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٧٢) ﴾.

جـ- في سورة الشعراء

تبدأ القصة باستباق (إعلاني) ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) ﴾ ثم تعود إلى تفصيل هذا التكذيب في مشهد حواري بين هود عليه السلام وقومه ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُون (١٢٦) ﴾... إلى أن تختم بإيجاز أحداث النجاة والإهلاك ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) ﴾.

د- في سورة هود

تأتي القصة في مشهد حواري بين هود عليه السلام وقومه منذ أن بدأ دعوته لهم ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ مبصِّرا إياهم بطرق الفوز والنجاة، وهم يكذبون، ويكذبون (٥٠- ٥٧) إلى أن تأتي الخاتمة موجزة ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) ﴾.

ثم يأتي تذييل للقصة في استرجاع يتضمن استباق العليم ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠) ﴾.

هـ- في سورة الأحقاف

تبدأ القصة باسترجاع، يذكر بما كان ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عليكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١) ﴾ يلي ذلك مشهد حواري بين هود عليه السلام وقومه: هو يدعوهم إلى الله وهم يكذبون، ويستعجلون ما يعدهم به من العذاب لجهلهم؛ فتأتي النهاية في إيجاز مختلط بحوار ﴿

فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (٢٥) ﴾ لكن من صاحب الخطاب هنا؟ قد يكون هودا هو الذي يرد عليهم، وقد يكون صوتا آخر، وهو الأقرب، لقوله تعالى في ختام القصة ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾.

قصص صالح عليه السلام

أ- في سورة القمر

تبدأ القصة منذ التكذيب باستباق ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣) ﴾ ثم يلي مشهد (حواري) نرى فيه كيف كان تكذيبهم ﴿ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ (٢٤) أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (٢٥) ﴾ ونسمع ذلك الصوت البعيد- العالي- العليم يرد عليهم ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ (٢٦) إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (٢٧) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ

كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (٢٨) ﴾ ثم قطع (حذف) تليه النهاية في إيجاز ﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عليهمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١) ﴾.

ب- في سورة الأعراف

تبدأ القصة مع دعوة صالح عليه السلام لقومه بمشهد حواري ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) ﴾ ونحن هنا مع حذف كذلك، فصالح عليه السلام أرسل إلى قومه، وكان بينهما ما كان مما يفصل في أماكن أخرى، ثم كانت الناقة آية لهم، لكن الناقة تأتي هنا منذ البداية، ثم في استرجاع يذكرهم بفضل الله عليهم ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا ءَالاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤) ﴾ ويستمر الحوار لكن هذه المرة بين المكذبين من قومه والمؤمنين ﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٧٦) ﴾ ثم حذف يُعلم من سياقات أخرى

فإيجاز النهاية ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يا صالح ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨) ﴾ ثم الآية الأخيرة ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩) ﴾ هل هي استرجاع ؟ إذ بعد هلاكهم يعود السياق إلى ما كان من صالح عليه السلام تجاه قومه في نهاية دعوته لهم، وبعد إياسه منهم. أم هي خاتمة طبيعية، تأتي في ترتيبها التراتبي حين تولى صالح عليه السلام عن قومه بعد هلاكهم متحسرا عليهم ؟ الأقرب أنها الأولى، فهو خاطب قومه نافضا يديه منهم؛ فقد بذل قصارى ما يستطيع من جهد في سبيل هدايتهم، ولكنهم قوم مفسدون، لا يحبون الناصحين. ثم تولى عنهم. والجملة الثانية معطوفة على الأولى بالواو التي تسمح بالسبق والتأخر على السواء.

جـ- في سورة الشعراء

تبدأ القصة باستباق يوحي بطبيعة القصة ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) ﴾ ثم يلي مشهد حواري بين صالح عليه السلام وقومه: دعوة وتكذيب (١٤٢- ١٥٦) إلى أن تأتي الخاتمة في إيجاز بعد قطع معلوم من سياق آخر، إذ حذرهم صالح أن يمسوا الناقة بسوء ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا

نَادِمِينَ (١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٥٨) ﴾.

د- في سورة النمل

تبدأ القصة بإيجاز يجمل الحكاية ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥) ﴾ وتستمر في مشهد حواري بين صالح وقومه، إلى أن يتوقف الزمن مع وصف تسعة الرهط في المدينة ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨) ﴾ ومن ثم يكتمل الحوار بين قومه بعضهم البعض في المكر له، لتأتي الخاتمة موجزة مختلطة بوصف ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣) ﴾.

هـ- في سورة هود

يهيمن على القصة مشهد حواري بين صالح وقومه (٦١- ٦٥) وتختم بإيجاز ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا

الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٦٧) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِثَمُودَ (٦٨) ﴾.

قصص لوط عليه السلام

أ- في سورة القمر

تبدأ القصة بإيجاز ﴿ كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) ﴾ ثم قطع فالخاتمة ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عليهمْ حَاصِبًا إِلاَّ ءَالَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ(٣٥) ﴾ وبعد ذلك يعود السياق في استرجاع خارجي [بالنسبة لبداية القصة (التكذيب) ونهايتها (الإهلاك والنجاة) هاهنا] إلى ما قبل التكذيب ﴿ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٧) ﴾ ثم نعود في استرجاع داخلي (داخل القصة المذكورة هاهنا) ﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (٣٨) ﴾.

ب- في سورة الأعراف

تبدأ القصة مع دعوة لوط عليه السلام في مشهد حواري بينه وبين قومه، هو مهموم بدعوتهم ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١) ﴾ وهم يكذبون، ويأتي تكذيبهم في إيجاز دال على فساد طبيعتهم ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) ﴾ ونستمر مع الإيجاز في عرض النهاية ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عليهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤) ﴾.

جـ- في سورة الشعراء

تبدأ القصة باستباق إعلاني ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) ﴾ ثم يأخذ السياق مساره الطبيعي مع دعوة لوط لهم، وتكذيبهم له، في مشهد حواري ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلاَ تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عليه مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤) أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦) قَالُوا

لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا لوط لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (١٦٨) ﴾ ومن ثم تأتي الخاتمة في إيجاز حين دعا ربه ﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩) فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٧١) ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عليهمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٣) ﴾ والآية الأخيرة تمثل استرجاعا داخليا؛ فالتدمير نتيجة يحدثها المطر.

د- في سورة هود

تبدأ القصة مع مجيء الرسل إلى لوط، في إيجاز يجمل الموقف النفسي لرسول الله ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧) ﴾ ثم تنتقل إلى مشهد حواري بين لوط عليه السلام وقومه، هم يريدون ضيفه وهو يحاول منعهم (٧٨- ٨٠) يكتمل بحوار آخر بين لوط والملائكة، حيث يكشفون له عن حقيقتهم ويطلبون منه الرحيل (٨١) ومن ثم تأتي الخاتمة في إيجاز سريع ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عليها حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (٨٢) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣) ﴾.

هـ- في سورة الحجر

تبدأ الإشارة إلى قصة لوط باسترجاع خارجي لجانب من قصة إبراهيم عليه السلام حين ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٧) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٥٨) إِلاَّ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (٦٠) ﴾ وبعد ذلك يأخذ السياق في عرض قصة لوط عليه السلام، فتبدأ بمشهد حواري بين لوط والملائكة يكشفون فيه حقيقة أنفسهم ويطلبون منه الرحيل (٦١- ٦٥) ثم يُجمَل الأمر في استباق (العليم) ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (٦٦) ﴾ يلي ذلك، على عكس القصة السابقة، مشهد حواري بين لوط عليه السلام وقومه يريدون ضيفه ويحاول منعهم (٦٧- ٧١) وهنا يطرح سؤال نفسه: هل هذا المشهد الأخير يأتي متأخرا عن سابقه (استرجاعا)؟ أم أن هذا هو الترتيب الطبيعي للقصة ؟ مما يجعلنا نتساءل كذلك: إذا كان لوط يعرف بالفعل حقيقة الملائكة فلماذا يكبد نفسه مشقة الدفاع عنهم ؟! ثم في إيجاز تأتي الخاتمة ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عليهمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ(٧٤) ﴾.

و- في سورة العنكبوت

تبدأ القصة مع دعوة لوط عليه السلام قومه في مشهد حواري ينكر عليهم ما يفعلون، وهم يستهزئون به ويطلبون العذاب، فيستنصر بربه (٢٨- ٣٠) ثم نعود في استرجاع خارجي إلى قصة إبراهيم عليه السلام في حواره مع الملائكة ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٢) ﴾ ثم يأتي مجيء الملائكة وضيق لوط بهم في حوار موجز ﴿ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لاَ تَخَفْ وَلاَ تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) ﴾ ومن ثم لا تأتي الخاتمة المعتادة التي تصف حدث الإهلاك والنجاة، وإنما تأتي إشارة إلى ذلك وفي الوقت نفسه إلى العبرة من القصة ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا ءَايَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥) ﴾.

قصص شعيب عليه السلام

أ- في سورة الأعراف

تبدأ القصة، كقصص سورة الأعراف، بمشهد دعوة شعيب عليه السلام قومه إلى عبادة الله وحده، وهم يكذبون ويستكبرون، وشعيب يستنصر بربه (٨٥- ٩٠) فينصره، بإهلاكهم في إيجاز شديد ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١) ﴾ ثم فاصل يجمل العبرة من القصة: ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٢) ﴾ ثم الآية الأخيرة ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ (٩٣) ﴾ هل هي استرجاع يعود إلى ما قبل نهاية القصة، حيث أيس من تحولهم عن كفرهم، فقال ما قال؟ أم أنها تقع في ترتيبها الزمني الطبيعي؟ وهو الأقرب هاهنا، فهو يتولى عنهم بعد هلاكهم مسترجعا ما كان بينه وبينهم، إذ أبلغهم رسالات ربه، ونصح لهم، لكنهم كفروا، وكذبوا، فلم يستحقوا أن يأسى عليهم بعد أن أهلكوا جزاء كفرهم.

ب- في سورة الشعراء

تبدأ القصة باستباق تمهيدي ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) ﴾ ثم يأتي تفصيل هذا التكذيب في مشهد حواري بين شعيب وبينهم، هو يدعوهم، وهم يكذبون ويطلبون العذاب (١٧٧- ١٨٨) ومن ثم تأتي الخاتمة سريعة في إيجاز شديد ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٩٠) ﴾.

جـ- في سورة هود

تبدأ القصة مع دعوة شعيب لقومه بمشهد حواري، يستغرق القصة بطولها.... (٨٤- ٩٣) ومن ثم تأتي الخاتمة موجزة في قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (٩٥) ﴾.

قصص موسى عليه السلام

أ- في سورة الأعراف

تبدأ الحكاية باستباق تمهيدي، داخلي، يجمل القصة ويحدد اتجاه السرد، وأنه سيكون مكرسا لعرض ما كان من ظلم فرعون وملإه حيث كفروا بآيات الله، وما كان من عقاب الله لهم جزاء هذا الكفر ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ موسى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلإِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣) ﴾ ومن ثم تبدأ الحكاية مع ذهاب موسى إلى فرعون رسولا من رب العالمين، ليبدأ المشهد الحواري بينهما ﴿ وَقَالَ موسى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٠٥) قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٦) ﴾ يقطع الحوار سرد موجز لما جاءهم به موسى من معجزات ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (١٠٨) ﴾ ليعود المشهد الحواري من جديد بين فرعون وملإه الذين أشاروا عليه بمحاربة موسى بالسحرة المهرة (١٠٩- ١١٢) وبعد حذف يكتمل الحوار بصوت السحرة مع فرعون (١١٣- ١١٤) يسألونه

عن أجرهم إذا هم غلبوا، ثم مع موسى (١١٥- ١١٦) ليحددوا البادئ بعرض سحره. ثم تأتي أحداث اللقاء بين موسى والسحرة موجزة ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَى موسى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) ﴾ ثم يعود المشهد الحواري بين فرعون والسحرة (١٢٣- ١٢٦) يكشف عن إيمان عميق تنطوي عليه قلوبهم؛ لرؤيتهم شيئا غير السحر فيما أتاهم به موسى؛ فسحرهم باطل، وهم يعلمون ذلك، وموسى جاءهم بحق لم يألفوه من قبل في صناعتهم هذه، فهي إذن معجزة، وليست ضربا من ضروب السحر التي يعرفونها. ومن ثم يتجدد الحوار بين فرعون وقومه ﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ موسى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧) ﴾ وبين موسى عليه السلام وقومه ﴿ قَالَ موسى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩) ﴾

وبعد هذا تكتمل الأحداث بإيجاز نعرف من خلاله ما وقع بآل فرعون من عقاب ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بموسى وَمَنْ مَعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٣١) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢) فَأَرْسَلْنَا عليهمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَاتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (١٣٣) وَلَمَّا وَقَعَ عليهمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا موسى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٤) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (١٣٥) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧) ﴾ يتخلل هذا الموجز، الذي يجمل أحداث نهاية فرعون وقومه، مشهد قصير يعود إلى الظهور مرة بعد مرة ﴿ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ﴾ ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢) ﴾ ﴿ قَالُوا يَا موسى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ

عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٤) ﴾ وفيه كذلك نجد التواتر الذي يحمله تكرار إرسال العقاب على آل فرعون في صور مختلفات: ﴿ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ﴾ لعلهم يعودون عما هم فيه من ضلال، وتسير الأحداث بعد ذلك يغلب عليها المشهد الحواري بين موسى وقومه (١٣٨- ١٤١) وبينه وبين ربه (١٤٣- ١٤٧) إلى أن تأتي نهاية الحكاية في إيجاز يتخلله بعض المشاهد الحوارية السريعة، لدى عودة موسى ولقائه بأخيه هارون ﴿ قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (١٥١) ﴾ أو عند دعاء موسى حيث ذهب مع السبعين رجلا من قومه لميقات ربه ﴿ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥) وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ

كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) ﴾.

ب- في سورة طه

تبدأ الأحداث بمشهد حواري طويل بين موسى وربه. يختاره الله رسولا إلى فرعون، بعد أن يريه من آياته الكبرى (٩- ٣٦) ويكتمل الحوار في شكل استرجاع خارجي يذكره فيه ربه بما منّ عليه به من قبل ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عليكَ مَرَّةً أُخْرَى (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (٣٨) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عليكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (٣٩) ﴾... (٤١) ثم يستعيد الحوار زمنه الأصلي، ليبدأ التكليف بالرسالة ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤) ﴾... (٤٨) ويستمر الحوار مع تغير الشخصيات، بعد قطع زمني غير محدد، يتحول معه الحوار من التكليف إلى الدعوة ﴿ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٤٨) قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا موسى (٤٩) ﴾.... (٧٦) ويتخلل هذا الحوار

الطويل، الذي يهيمن على الحكي، سرد موجز، يجمل أحداثا كثيرة ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (٥٦) ﴾ ﴿ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (٦٠) ﴾ وكذلك قطع زمني يتخطى أحداثا لا يحتاج السرد إليها ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٤٨) قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا موسى (٤٩) ﴾ ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (٦٦) ﴾ ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (٦٩) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَموسى (٧٠) ﴾ ويستمر الحوار حتى نهاية الحكي، مع تغير الشخصيات المتحاورة: موسى وربه- موسى وقومه- هارون وقومه- موسى وهارون- موسى والسامري. ومن المفارقات الزمنية كذلك نجد الاسترجاع الداخلي الذي يذكر فيه الله بني إسرائيل بأعظم نعمه عليهم ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عليكمُ الْمَنَّ والسلوى (٨٠) كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عليكمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عليه غَضَبِي فَقَدْ هَوَى (٨١) ﴾ والاستباق الداخلي الذي يُعلم الله فيه موسى بما فعل

السامري من إضلال قومه ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) ﴾.

جـ- في سورة الشعراء

نبدأ الحكي، مع تكليف موسى، بمشهد حواري بينه وبين ربه ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ موسى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ (١١) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (١٢) ﴾.... (١٧) ويستمر المشهد الحواري مع تغير الشخصيات، حين يذهب موسى وهارون إلى فرعون ليبلغاه رسالة ربه ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٧) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) ﴾... (٣٣) ونلاحظ القطع الزمني بين الإرسال والدعوة، يُحذف فيه مضمون الرسالة التي جاء بها موسى وهارون، لأننا نعلمها من قبل. ويمتد المشهد الحواري بين فرعون وقومه، ثم بينه وبين السحرة يمنّيهم الأماني إذا هم غلبوا موسى، فيُغلبون. ويستمر الحوار بينهم وبين فرعون يتوعدهم بالعذاب لإيمانهم برب موسى وهارون، وهم يطمعون في مغفرة الله ربهم أن كانوا أول المؤمنين (٤١- ٥١) ثم يأتي الإعلان الذي خرج به فرعون على الناس ﴿ إِنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ

حَاذِرُونَ (٥٦) ﴾ الذي يحمل طابعا مشهديا هو الآخر، ليكمل هيمنة المشهد على الحكي- ويأتي في الوقت ذاته إعلانا لنهاية فرعون، فقد بلغ به الكِبْرُ كل مبلغ، فتأتي النهاية مجملة موجزة، على هيئة استباق داخلي يؤكد هوانه وضعفه وقلة حيلته ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) ﴾ ويكتمل الحكي بعد ذلك في إيجاز يتخلله مشهدان أحدهما حوار قصير ﴿ قَالَ أَصْحَابُ موسى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ(٦٢) ﴾ والآخر وحيد الصوت ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى موسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ﴾.

د- في سورة القصص

تبدأ الحكاية هاهنا باستباق تمهيدي، نعرف فيه ما سيكون من شأن الحكي بعد ذلك ﴿ نَتْلُوا عليكَ مِنْ نَبَإِ موسى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦) ﴾ فهي قصة موسى عليه السلام، وفرعون الذي علا

واستكبر، واستضعف أمة يريد الله أن يمن عليها، ويمكّن لها في الأرض!..

ومن ثم يبدأ الحكي مع الطفولة الباكرة لموسى، ومع حيرة أمه، في مشهد حواري، يتضمن استباقا داخليا يطمئنها فيه الوحي على ابنها وعلى مستقبله ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ موسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عليه فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) ﴾ يليه إيجاز مدة الطفولة وما كان فيها، بعد إلقاء موسى في اليم بأمر الله، من التقاط آل فرعون له، وفيه استباق داخلي لما سيكون من أمره معهم ﴿ فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨) ﴾ ومن ثم طلب امرأة فرعون الإبقاء عليه، واتباع أخته له، وتحريم المراضع عليه، وإعادته من ثم إلى أمه ﴿ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٣) ﴾.

وتمضي الطفولة، وبعد قطع مشار إليه، ننتقل إلى شباب موسى حيث يوجز الحكي حدث قتله للقبطي، وخوفه من انكشاف أمره، وخروجه إلى مدين ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤) وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ

فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾... (٢٢) يتخلل هذا الإيجاز مشاهد قصيرة ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ على فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ (١٧) ﴾ ﴿ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ موسى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (١٨) ﴾ ﴿ قَالَ يا موسى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (١٩) ﴾ ﴿ قَالَ يا موسى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (٢٠) ﴾ ﴿ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢١) ﴾ ﴿ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ(٢٢) ﴾.

ويستمر تداخل المشهد الحواري والإيجاز، واقتسامهما الحكي، إلى أن يبدأ موسى في العودة إلى مصر (٢٣- ٢٩) ويبدأ تكليف الله له بالدعوة، فيعود المشهد الحواري ليهيمن على الحكي مرة ثانية، شأن كل الأحداث المهمة ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا موسى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾... (٣٥).

ويستمر المشهد كذلك في دعوة موسى آل فرعون، بعد حذف يدل عليه السياق ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ موسى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إلا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الأَوَّلِينَ (٣٦) وَقَالَ موسى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٣٧) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعلى أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ موسى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨) ﴾ وتأتي الخاتمة في إيجاز يشير إلى سهولة الأخذ، وضعف المأخوذ ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) ﴾.

قصة موسى والعبد الصالح

تتكون الحكاية من خمسة مقاطع سردية متتالية زمنيا، تبدأ بمشهد استباقي داخلي، لا يلتزم فيه السرد بتوجه معين للأحداث ﴿ وَإِذْ قَالَ موسى لِفَتَاهُ لاَ أَبْرَحُ حتى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) ﴾ يترك المتلقي في حالة تساؤل عن مصير موسى كيف سيكون؟! لكن وبعد حذف لأحداث ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ

سَبيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) ﴾ وكان موسى ينتظر هذه العلامة ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ (٦٤) فهناك ما خرجا من أجله ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) ﴾ ومن ثم يدور حوار بين موسى والعبد الصالح يستمر حتى النهاية يتخلله إيجاز في مواقع مختلفة ﴿ فَانْطَلَقَا حتى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾ (٧١) ﴿ فَانْطَلَقَا حتى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ ﴾ (٧٤) ﴿ فَانْطَلَقَا حتى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ ﴾ (٧٧) وأربع مرات نجد استرجاعا داخليا حين يذكر العبد الصالح موسى بما قال له من قبل ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) ﴾ فنجد ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) ﴾ ونجد ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا(٧٥) ﴾ و﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عليه صَبْرًا (٧٨) ﴾ وفي الخاتمة ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عليه صَبْرًا (٨٢) ﴾.

قصة يوسف عليه السلام

تتكون القصة من ثمانية مقاطع سردية تتوزع على أربعة عشر موقعا زمنيا: المقطع الأول رؤيا يوسف (٤- ٦) موقع زمني واحد يبدأ بمشهد استباقي تمهيدي بين يوسف وأبيه ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٥) وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ... (٦) ﴾ نرى فيه تلك الرؤيا التي سيكون لها شأن فيما بعد، ونتعرف طبيعة العلاقة بين يوسف وإخوته، وبين يوسف وربه. ومن ثم تبدأ القصة مع المقطع السردي الثاني حسد الإخوة (٧- ١٨) الذي ينطوي على أربعة مواقع زمنية متتالية تاريخيا، يهيمن فيها المشهد الحواري يتخلله الحذف والإيجاز، فنحن نبدأ بحوار بين إخوة يوسف أنفسهم، وبينهم وبين أبيهم، نرى فيه تفصيل العلاقة بينهم وبين يوسف: (٨- ١٨) وفي هذا المشهد نجد حذفا يَفْصل حوار الإخوة مع أنفسهم (الموقع الزمني الأول) وحوارهم مع أبيهم (الموقع الزمني الثاني) ونجد إيجازا يجمل الأحداث ما بين ذهابهم بيوسف وعودتهم بدونه إلى أبيهم (الموقعين الزمنيين الثالث والرابع) ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ

وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٥) وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) ﴾ بعد ذلك ينتقل السياق إلى يوسف فيوجز جانبا من حياته (١٩- ٢١) ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠) ﴾ وينتقل يوسف بذلك من حياته الطبيعية الأولى إلى حياة أخرى جديدة، حياة الرق، ولكن ثم في التمهيد للقصة رأينا علاقته بربه ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ (٦) فيتجلى أثر تلك العلاقة هاهنا، في استرجاع شديد الأهمية ليوسف، مع انتقاله من الحرية إلى العبودية، ويوجز السياق ذلك ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢١) ﴾ ومن ثم يُحذف جانب من حياته (مرحلة الصبا) فيأتي المقطع السردي الرابع (٢٢- ٣٤) محنة المراودة، ليتشكل في أنماط زمنية مختلفة، تبدأ باستباق (تمهيدي) ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ ﴾ يلي ذلك مشهد حواري بينه وبين امرأة العزيز

﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ(٢٣) ﴾ ثم يرد الحديث عن الهم موجزا سريعا في صور متلاحقة، ملائمة للموقف النفسي ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ ومن ثم يعود السياق إلى إيقاعه الطبيعي ليمنع أن يلحق بيوسف أي ظن يسيء إليه (في استرجاع ثان) ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) ﴾ ثم يعود الإيجاز السريع، والصور المتلاحقة مرة أخرى ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ ومن ثم تهدأ الأحداث، ويلي الإيجاز مشهد حواري ﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ ثم يأتي حديث نسوة المدينة ويستمر المشهد الحواري، يتخلله إيجاز دعوة امرأة العزيز للنسوة ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عليهنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) ﴾ يعود بعده المشهد بحوار بين امرأة العزيز والنسوة، ثم بين يوسف وربه، وبعد ذلك بينه وبين صاحبي السجن، في المقطع السردي الخامس (٣٥- ٤٩) حيث ينتهي بإيجاز وقطع بعده تأتي رؤيا الملك...

﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢) وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣) ﴾ ويعود المشهد بحديث الملأ، ثم الذي نجا منهما، ثم تأويل يوسف للرؤيا، فشهادة نسوة المدينة وامرأة العزيز ببراءة يوسف (المقطع السردي السادس) وبعد ذلك حوار يوسف مع الملك، يلي ذلك إيجاز لمدة من حياة يوسف ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) ﴾ ثم استباق خارجي ﴿ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧) ﴾ ويأتي اللقاء الأول بين يوسف و إخوته (المقطع السردي السابع) ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عليه فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٥٨) ﴾ ويدور حوار بينه وبينهم يطلب أخاه، ثم بينه وبين فتيانه، ثم بين إخوته وبين أبيهم يطلبون منه أن يرسل معهم أخاهم، وهو يسترجع ذكري يوسف حين استأمنهم عليه من قبل، ثم يرسله معهم ويوصيهم، ويستمر المشهد الحواري، وتتغير الشخصيات، ويحذف حدث الرحلة إلى مصر، ويسترجع الحوار جزءًا (مكذوبا) من ماضي الشخصيات ﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ

فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧) ﴾ ويستمر الحوار، بين يوسف وإخوته، وبينهم وبين أنفسهم ثم يتداخل تداخلا لطيفا بحوارهم مع أبيهم... ﴿ ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١) وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ العليم الْحَكِيمُ (٨٣) ﴾ وثم حذف لحدث الانتقال إلى الأب، وأيضا هنا استباق حدسي ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾، ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ ومن ثم كان تعرفهم على يوسف سريعا حين سألهم ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَئِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ ﴾ - ويستمر المشهد الحواري بين يوسف وإخوته، بعد قطع حدث قدومهم إليه، ثم بين إخوته وأبيهم، ويحذف كذلك حدث قدوم أبويه (المقطع السردي الثامن) ويستمر الحوار بين يوسف وبينهم جميعا ثم بينه وبين أبيه، في استرجاع داخلي لحدث الرؤيا في طفولة يوسف، ولأحداث أخرى ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ

أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ العليم الْحَكِيمُ (١٠٠) ﴾ وتختم القصة بمشهد يناجي فيه يوسف ربه، يثني عليه، ويدعوه ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بالصَّالِحِينَ (١٠١) ﴾.

قصة قارون

تبدأ القصة باستباق تمهيدي موجز ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ موسى فَبَغَى عليهمْ ﴾ ومن ثم يأتي تفصيل ذلك البغي في إيجاز يعقبه مشهد حواري بين قارون والعارفين من قومه ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ يلي ذلك استرجاع خارجي موجز ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ

مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) ﴾ ثم قطع فوصف يقدم قارون نموذجا لزينة الحياة الدنيا ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ ويستمر المشهد الحواري بين الذين يريدون الحياة الدنيا والذين أوتوا العلم، وتأتي نهاية قارون في إيجاز ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (٨١) ﴾ وهنا يعود الغافلون من غفلتهم في استرجاع للعبرة البينة من قصة قارون ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلاَ أَنْ مَنَّ اللَّهُ علىنا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) ﴾.

قصص سليمان عليه السلام

أ- في سورة ص

تبدأ القصة باستباق داخلي، تمهيدي ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) ﴾ ثم تبدأ الأحداث في الكشف عن أسباب هذا المديح، وتبيين تلك الأوابية التي يتصف بها سليمان تبدأ بإيجاز عرض

الصافنات الجياد، ثم مشهد حواري بينه وبين نفسه، وبينه وبين عارضي الجياد ﴿ إِذْ عُرِضَ عليه بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حتى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا على فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ (٣٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥) ﴾ أما قوله تعالى على لسان سليمان عليه السلام ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴾ فهو كلام معترض، للدلالة على يقظة قلبه، وشدة تعلقه بذكر ربه، فهو في غمرة انشغاله باستعراض الصافنات الجياد يذكر أنه قد أخطأ إذ أغفله الاستعراض عن ذكر ربه، وإن كانت هذه الغفلة لا تستمر حتى تتوارى بالحجاب، فيعود إلى ربه يستغفره ويسأله فيها ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، فيستجيب له ربه، ولكن الخيل خلقها الله وسخرها للإنسان من قبل سليمان، فليكن له ما يريد: ملكٌ خاصٌ لم يكن لأحد قبله ولن يكون لأحد من بعده: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (٤٠) ﴾ وعلى هذا فالأقرب أن الفتنة التي

فتنها سليمان ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) ﴾ كانت هي انشغاله بالصافنات الجياد عن ذكر ربه، إذ يعيدنا هذا الاسترجاع إلى الاستباق التمهيدي عن أوابية سليمان في بداية القصة، فهو استرجاع على استباق لتأكيد أوابيته، أي كثرة إنابته ورجوعه إلى ربه، فهو في لحظة الفتنة بالخيل كان جسدا لا روح فيه، حين شغله انبهاره بروعة الخيل عن ذكر ربه، لكنه سرعان ما يؤوب إلى ربه، يستغفره، ويرجع إليه فضل النعمة التي ينعم بها، ويسأله دوام الملك ما أحياه الله، فإنما الملك هبة من الله الوهاب.

ب- في سورة النمل

تبدأ القصة باستباق تمهيدي، مجمل ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ﴾ (١٥) ثم بعد قطع لمدة من الزمن ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾ يأتي مشهد يوجز فيه سليمان عظيم فضل الله عليه ويوضح كذلك ماهية العلم الذي آتاه الله إياه ﴿ وَقَالَ يا أيها النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) ﴾ ثم إيجاز يعرض ملكه، ويكتمل هذا العرض بمشهد ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حتى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يا أيها النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٨)

فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ على وَعلى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩) ﴾ ثم قطع فإيجاز فمشهد ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢١) ﴾ ثم قطع مشار إليه، فمشهد حواري بين سليمان والهدهد ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) ﴾... ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ (٢٢- ٢٩) يلي ذلك قطع فمشهد حواري بين ملكة سبا والملأ من قومها ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) ﴾... ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (٣٠- ٣٥) ثم قطع فحوار بين سليمان ورسل الملكة ثم بين سليمان وملإه ٣٦- ﴿ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ (٤١) ﴾ ثم قطع فحوار بين سليمان وملكة سبأ ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ يقطعه استرجاع (خارجي) ﴿ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣) ﴾[١٧].

ومن ثم تختم القصة باكتمال الحوار ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤) ﴾.

قصة أصحاب الكهف

تبدأ القصة باستباق تمهيدي (تكراري) يختلف عن بقية الاستباقات التي مرت بنا حتى الآن، إذ تعرض القصة بكاملها في ثلاث لقطات موجزة ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) ﴾ ثم على الترتيب نفسه تُفصل الأحداث في هيئة استرجاعات خارجية قبل دخولهم إلى الكهف، ثم داخلية بعد ذلك، ويبدأ تفصيل الأحداث بوصف أصحاب الكهف: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) ﴾ ثم مشهد حواري بينهم وبين أنفسهم يفصِّل الاعتزال والإيواء

إلى الكهف، ومن ثم توجز المدة التي أمضوها في الكهف ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ﴾... ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عليهمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا(١٨) ﴾ هنا يعرض الحدث في تواتره؛ يُعرَض مرة واحدة ما يحدث مرات متعددة، وهو الحدث الوحيد المتعلق بهم طوال مدة لبثهم، طلوع الشمس وغروبها عليهم، وتقليبهم ذات اليمين وذات الشمال.

ويستمر الحوار بينهم بعد بعثهم متسائلين عن مدة لبثهم، وبعد إيجاز لمدة من حياتهم ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عليهمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا ﴾ (٢١) يتنازع القوم بينهم أمرهم ويستمر الحوار ﴿ فَقَالُوا ابْنُوا عليهمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عليهمْ مَسْجِدًا (٢١) ﴾ ويستمر الحوار في صيغة استباق العليم ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) ﴾.... – ٢٦).

قصة صاحب الجنتين

تبدأ القصة باستباق يوجز عطاء الله لأحد رجلين متحاورين ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ﴾... (٣٤) [سورة الكهف]. ومن ثم يسيطر الحوار على القصة، في مفاخرة صاحب الجنتين، ونصح صاحبه له (٣٤- ٤١) وتختم بوصف يتوقف فيه الزمن، فقط تُعرض صورة صاحب الجنتين في يأسه ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يا ليتني لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤) ﴾ وفيها استرجاع لما قال له صاحبه من قبل ﴿ وَيُرْسِلَ عليها حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) ﴾ هذا والقصة كلها استرجاع لقوله تعالى من قبل: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨) ﴾.

قصة أصحاب الجنة

تتكون القصة من أربعة مقاطع سردية يتوالى فيها الزمن تاريخيا (خطيا) بعد بداية القصة التي تأتي على هيئة استرجاع خارجي (خارج القصة) يتصل بقصة أصحاب الجنة بعلاقة المشابهة في الابتلاء وعلى الاسترجاع يأتي استباق داخلي (إعلاني) ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلا يَسْتَثْنُونَ (١٨) ﴾ [سورة القلم]. وبعدها تعرض الأحداث في لقطات سريعة يبدو فيها التوالي الزمني واضحا ﴿ فَطَافَ عليها طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عليكُمْ مِسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) ﴾ ومن ثم تختم القصة بمشهد حواري بين الإخوة وبعضهم يستعيدون فيه ما كان من بعضهم من نصح، وما كان منهم من ظلم ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) ﴾ ومن ثم نعود مرة أخرى إلى

البداية باسترجاع يعيدنا إلى حاضر السرد ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣) ﴾ فهكذا كان عذاب أصحاب الجنة، ولكن هناك عذابا أكبر يوم القيامة، لو كان يعلم الذين بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة.

قصة ابني آدم عليه السلام

نبدأ القصة مع الاسترجاع الخارجي، وإيجاز أحداث القربان، ومن ثم يبدأ مشهد حواري بين الأخوين ﴿ وَاتْلُ عليهمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) ﴾... (٣٠) [سورة المائدة]. ثم إيجاز أحداث القتل وإرسال الغراب ومن ثم يأتي مشهد الندم ليختم القصة ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١) ﴾.

قصة ذي القرنين

تتكون القصة من ست وحدات سردية، تتوزع على أربعة مواقع زمنية: الموقع الأول موقع حاضر السرد ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْن قُلْ سَأَتْلُو عليكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣) ﴾ ومعه تبدأ الوحدة السردية الأولى بمفارقة زمنية تأخذ شكل استباق داخلي يحدد موضوع القصة، وأنها خبر ذي القرنين ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْن قُلْ سَأَتْلُو عليكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) ﴾ وبعد إيجاز مدة من الزمن ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) ﴾ يتم الانتقال زمنيا إلى الموقع الثاني ﴿ حتى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا ﴾ (٨٦) ومن ثم يبدأ حوار بين الله وذي القرنين (٨٦– ٨٨) يليه إيجاز ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) ﴾ يعقبه الموقع الزمني الثالث ﴿ حتى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ﴾ ثم إيجاز ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) ﴾ يليه الموقع الزمني الرابع الذي يسيطر عليه المشهد الحواري بين ذي القرنين والقوم الذين وجدهم بين السدين ﴿ حتى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلا (٩٣) قَالُوا يا ذا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ ﴾... (٩٣– ٩٨) ومن

ثم تختتم القصة باستباق خارجي ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩) ﴾ أو هي اختتمت من قبل بالمشهد الحواري السابق.

خصائص البنية الزمنية في القصص القرآني

رأينا كيف يهيمن المشهد الحواري على السرد القصصي القرآني، ومن خصائص المشهد أننا فيه نجد التحام الزمن القصصي بالزمن السردي، ويصير حاضر السرد هو حاضر الأحداث، فيتحول المتلقي إلى مشاهد يعاين الوقائع بنفسه، ينفعل بها، ويتفاعل معها كأنه واحد من شخصيات المشهد. ويتناوب الحذف، والإيجاز، والمشهد كثيرا. الحذف يتخطى أحداثا لا يحتاجها الموقف القصصي، وهو يتراوح بين أن يكون حذفا ضمنيا، يستدل عليه من ثغرة في التسلسل الزمني، أو انحلال للاستمرارية السردية كما نجد مثلا في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ

أَجْمَعُونَ(٧٣) ﴾ [سورة ص]. وكما رأينا فإن جل حذوف القصص القرآني من هذا النمط، وفي مواطن كثيرة نستطيع الاستدلال على الحذف من مواضع أخرى في سياقات مختلفة، ومرة واحدة فقط وجدنا حذفا محدود المدة، في قوله تعالى من قصص نوح عليه السلام في سورة العنكبوت: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٤) ﴾- والإيجاز يعرض للأحداث عرضا سريعا مجملا لأهمية ذكرها في السياق ولكن في غير تفصيل، كما في وظيفة الإهلاك والنجاة، في قصص الأنبياء، التي تأتي- غالبا- موجزة، فتدل من ناحية على هوان الهالكين على الله عز وجل، ومن ناحية أخرى على قدرة الله تعالى المطلقة- والمشهد يعرض الأحداث الرئيسية المشكلة للعمود الفقري للنص، وهو يأتي غالبا على هيئة حوار خارجي أو مونولوج داخلي[١٨]. ولكن " بالرغم من كون الحوار هو الشكل الأكثر صرفا للمشهد، فالسرد المفصل لحدث ما يجب اعتباره كذلك مشهديا... فإن ما يميز مشهدا ما هو كم الإخبار القصصي والمحو النسبي للراوي "[١٩] و" يعطي المشهد للقارئ إحساسا بالمشاركة الحادة في الفعل، إذ إنه يسمع عنه معاصرا وقوعه كما يقع بالضبط، في لحظة وقوعه نفسها. ولا يفصل بين الفعل وسماعه سوى البرهة التي يستغرقها

صوت الروائي في قوله، لذلك يستخدم المشهد اللحظات المشحونة، ويقدم الراوي دائما ذروة سياق من الأفعال وتأزمها في مشهد "[٢٠] ويرى ويليام هاندي، بحق، أن المشهد في العمل السردي يمكن أن يُنظر إليه على أنه مماثل للصورة في الشعر، ومن ثم يضيف أن " كلا من المشهد والصورة يمتلك الخصائص الأساسية نفسها:

١- كلاهما يعرض أكثر مما يوحي.

٢- كلاهما يشكل مظهرا مفردا لمعنى مضاعف.

٣- كلاهما يقصد إلى صياغة الخصوصية، أي نسيج التجربة.

٤- كلاهما موجه، أولا، إلى الحس- وليس إلى الفكر المجرد.

٥- كلاهما يتخطى المفهوم في احتوائه معنى أكبر مما يستطيع المفهوم أن يصوغه من خلال طبيعته الأصلية. "[٢١]، إنها اللحظات الأكثر توترا في القصة يعرضها المشهد الحواري (غالبا) في القصة القرآنية، كما رأينا مثلا في قصص الأنبياء، حيث تأتي دائما وظيفتا: الدعوة، والتكذيب على صورة مشهد حواري، وهما الوظيفتان الأكثر أهمية في القصص القرآني بوصفه وسيلة دعوة. والوصف يكاد لا يوجد في القصص

القرآني اللهم إلا في مواضع معدودة، أظهرها ما قابلنا من وصف لقارون في سورة القصص ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ وكأنه دمية تمثل زينة الحياة الدنيا، تُعرض في صمت ليفتن الناس بها. وكذلك وصف صاحب الجنتين في سورة الكهف، حين ضاعت جنتاه ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾.

أما بالنسبة لعلاقات الترتيب بين زمني القصة والسرد، فكثيرا ما تبدأ القصص باستباق، يهيىء نفس المتلقي، ويوجه توقعاته، كما رأينا في قصص آدم عليه السلام، حيث هناك الاستباق الإعلاني الذي يتصدر أكثر القصص، وفيه يخبر المولى عز وجل الملائكة بأنه سيخلق بشرا من طين، وما يلي بعد ذلك يترتب بوجه من الوجوه على هذا الاستباق، كما رأينا من رفض إبليس السجود لمخلوق طيني. وحين تبدأ قصة آدم في سورة طه باستباق داخلي عن نسيان آدم، فإن السرد يسير من ثم على هذا النحو ليذكر قصة نسيان آدم. وكما رأينا أيضا في قصص سورة القمر، التي تبدأ جميعها باستباق يحدد موضوع القصة، الذي كان دائما تكذيب قوم نبي من الأنبياء.

والاستباق المختلط في القصص القرآني له خصوصيته التي تتمثل في انفتاحه على المستقبل البعيد المتمثل في القيامة، كما في قصة آدم من

سورة طه: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦) ﴾ أو كما نرى في قصة ذي القرنين من سورة الكهف: ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا(٩٩) ﴾.

والاسترجاع كذلك يقابلنا في القصص القرآني، ولكن بصورة أقل من الاستباق الذي يبدأ به أكثر القصص. فنجد الاسترجاع مثلا مختلطا باستباق العليم في قصة هود عليه السلام من سورة هود: ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠) ﴾ وهذا الاستباق خاص بالقصة القرآنية؛ وهذا راجع أولا- لطبيعة صاحب الخطاب عز وجل عالم الغيب والشهادة. وثانيا- لطبيعة القصة القرآنية التي هي وسيلة رئيسية من وسائل الدعوة. وربما تركز الاسترجاع في قصص نبي من الأنبياء، كما في قصص لوط عليه السلام من سور: القمر، والشعراء، والحجر، والعنكبوت. في القمر يأتي الاسترجاع للتذكير بأن ما حل بقومه إنما كان جزاء وفاقا لما قابلوا به دعوته لهم وإنذاره، من تجاهل وتكذيب، ومثل ذلك في سورة الشعراء.

بينما في سورتي الحجر والعنكبوت، فيأتي استرجاع جانب من قصص إبراهيم عليه السلام. وفي قصة موسى والعبد الصالح نجد الاسترجاع أربع مرات متتالية، كما رأينا من قبل.

وتجدر الإشارة إلى أن القصة القرآنية، لوجودها في فضاء النص القرآني، تخضع لزمنيتين مختلفتين: الأولى تتعلق بزمن القصة القرآنية، وتتعلق الثانية بزمن النص القرآني. زمن القصة يبدأ مع الدخول الفعلي في عالمها، وزمن النص القرآني يحيط بزمن القصة، ويحتويه، ويمكن أن نعده زمنا حاضرا للسرد، أو زمنا أول تقاس المفارقات الزمنية الكبرى بالنسبة إليه. فالقصة بكاملها تكون استرجاعا أو استباقا حين تتعلق بهذا الحاضر الزمني للنص، كما رأينا مثلا في قصة أصحاب الجنة: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) ﴾ أو في قصص سورة القمر: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ(٩) ﴾ وفي غيرها.

الهوامش:

(١) Gérard Genette, Figures III, Paris, éd. du Seuil, coll. Poétique, 1972, P. 89-90

(٢) يقترح محمد سويرتي ترجمة Analepse بالبعدية، و Prolepse بالقبلية؛ لأنهما، فيما يقول، يقابلان مصطلحي جنت Genette من حيث إبعاد الدلالة النفسية... انظر، محمد سويرتي: النقد البنيوي والنص الروائي، الدار البيضاء ١٩٩١ جـ٢، ص: ٥٣ وما بعدها.

(٣) Gérard Genette, Figures III, P. 90

(٤) Ibid. P. 90

(٥) Ibid. P.90-91

(٦) Ibid. P. 109

(٧) Ibid. P. 111

(٨) Ibid. P. 113

(٩) هناك اختلاف في ترجمة المصطلح، يضعنا وجها لوجه أمام مشكلة نقل المصطلح الغربي إلى لغتنا العربية، وما ينتج عن ذلك من اختلاف ربما يكون طبيعيا مع البدايات، ولكن بعد مرور كل هذه السنوات (البداية كانت في أوائل القرن الماضي مع الشكليين الروس) فإن هناك تقصيرا ما، ربما لا يسمح به ما نرى من اختلاف أصحاب المنهج المؤسسين فيما بينهم في وضع المصطلح أساسا تبعا لمفهومات خاصة كما فعل جنت Genette مفارقا البنيويين في استعماله لـ Analépse بدلا من Retrospéction تفاديا للدلالة النفسية التي يحملها المصطلح الأخير، وللسبب ذاته يفضل استعمال Prolepse عن Anticipation . وكذلك يطلق على الوقفة اسم Pause ويطلق عليها تودوروف Todorov L'analise . و المشهد يسميه جنت Genette بـ Scene بينما يسميه تودوروف Todorov بـ Le style direct . وكذلك المجمل أو الموجز، يسميه جنت Genette بـ Sommaire وتودوروف Todorov بـ Résumé........ إلخ

(١٠) Gérard Genette, Figures III, P. 122

(١١) Ibid. P. 129

(١٢) Ibid. P. 130

(١٣) انظر: شلوميت كنعان، التخييل القصصي، ص ٨٨، وعلوط محمد: التواتر السردي في الخطاب الروائي، مجلة الكرمل، العدد ٢٨، ١٩٨٨، ص: ٩١

(١٤) **Gérard Genette, Figures III, P.145**

(١٥) شلوميت كنعان، التخييل القصصي، ص ٨٥

(١٦) انظر: سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، ط٢، ١٩٨٩، ١/ ١٢١

(١٧) قوله تعالي: ﴿ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) ﴾ إذا كان من كلام الملكة- وقد يكون- فلعلها أسلمت عند ورود كتابه إليها، فقد وصفته بأنه كتاب كريم، فأغلب الظن أنها لم تستشر قومها إلا بعد أن قرأته ورددت فيه النظر مرات ومرات ورأت فيه رأيها. والنص يحتمل كذلك أن يكون هذا من كلام سليمان؛ لقوله تعالي ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ﴾ فكان يعلم أن الذي صدها هو ما كانت تعبد من دون الله؛ إذ كانت من قوم كافرين.

(١٨) **Oswald Ducrot – Jean Marie Schaeffer, Nouveau dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, éd.du Seuil, coll.Points, 1995, P. 713**

(١٩) شلوميت كنعان، التخييل القصصي، ص ٨٥

(٢٠) عبد العالي بوطيب، إشكالية الزمن في النص السردي، مجلة فصول العدد الثاني، المجلد الثاني عشر، ١٩٩٣، ص ١٢٩

(٢١) ويليام هاندي: نحو نقد شكلي للرواية، ترجمة عيسي العاكوب، مجلة شئون أدبية، السنة الثانية، العدد٦، ١٩٨٨، ص: ٦٩

الصيغة السردية

لاحظنا في الفصل السابق هيمنة الصيغتين الرئيسيتين (المشهد الحواري والموجز) وبروزَ خصائصهما في زمنية السرد القصصي القرآني. وكلامنا هنا سينبني على الكلام هناك؛ لأن التمييز بين هاتين الصيغتين- أولاً- لا يتأتى إلا من خلال التمييز بين زمن القصة وزمن الحكاية- وثانيا- لأن البحث في الصيغة يقوم أساسا على هذا التمييز بين الخطابين: المسرود والمعروض، أو الموجز والمشهد الحواري.

منذ جمهورية أفلاطون، ومن بعده أرسطو في كتابه " فن الشعر " ولدى حديثه عن طرق المحاكاة، نجد التفريق بين طريقتين لنقل الكلام:

الأولى- الحكاية الخالصة، حيث يكون الشاعر نفسه هو المتكلم، من غير أن يحاول الإيحاء بأن أحدًا آخر هو الذي يتكلم.

والأخرى- المحاكاة (التقليد) حيث يبذل الشاعر جهدا ليحملنا على الاعتقاد بأنه ليس هو المتكلم، وإنما شخصية ما. فالمحاكاة من ثم تحيل على النقل غير المباشر للكلام[1].

ومع نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين يعود الحديث مرة أخرى عن الحكاية الخالصة والمحاكاة، ولكن تحت أسماء أخرى: كالتعبير (Telling) والعرض (Showing) مع هنري جيمس Henry James وأتباعه، حيث دعا هنري جيمس إلى توجيه الاهتمام نحو عرض الحدث، أو مسرحته، لا إلى سرده؛ فعلى القصة أن تحكي نفسها بنفسها. أو كما يقول بيرسي لُبّوك: إن على الكاتب أن يتجه نحو الدراما فيأخذ له موضعا وراء المحدث، تاركا الشخصيات تعبر عن نفسها بتلقائية، بعيدا عن تدخله المباشر بأفكاره الخاصة[٢].

ولدى الشكليين الروس، نجد كذلك هذا التمييز، ولكن، كما نرى عند توماشفسكي تحت اسم: السرد الموضوعي (Objectif) والسرد الذاتي (Subjectif) في الحالة الأولى نجد الراوي المحايد، الذي لا يتدخل في سير الأحداث، وإنما يصفها فحسب كما يراها، تاركا الحرية للقارئ في تفسير ما يُحكى له. بينما في السرد الذاتي تُقدم الأحداث من خلال ذات الراوي، فتأتي مشبعة بأفكاره التي يحاول أن يفرضها على القارئ، ويحمله على الاعتقاد بها[٣].

وحتى لا يأخذنا الحديث عن تاريخ الصيغة السردية، وهو تاريخ طويل، متشعب، تتداخل فيه اختصاصات مختلفة، فإننا نعود إلى

تحديد مجال البحث الذي ينطلق أساسا من الأدبية (الشعرية) الحديثة، كما رأيناها عند أصحاب مجلة Communication مثل تودوروف Todorov الذي يرى أن مقولة الصيغة، ويسميها: سجلات الكلام[4] (Registres de la parole) تتعلق بطريقة الراوي في عرض المحكي وتقديمه. فنحن بواسطة الكلمات نستحضر كونا مصنوعا من الكلمات، وآخر مصنوعا من النشاطات غير اللفظية، وهذا لا يطرأ عليه تنوع في الصيغة، إنما تنويعات تاريخية تُنتج، بنجاح متفاوت وحسب مواضعات العصر، وهم الواقعية. وبعكس ذلك فإن لقص الكلام أنواعا متعددة؛ لأن الكلام يمكن أن يأتي بهيئات متغايرة، متفاوتة الأهمية. ومن ثم يعرض لاقتراح جنت Genette الذي يميز فيه بين درجات ثلاث من الإقحام: الأسلوب المباشر، وفيه لا تطرأ على الخطاب أية تعديلات، والأسلوب غير المباشر أو " الخطاب المحكي " حيث نحافظ على مضمون الرسالة التي افتُرض التلفظ بها، ولكن بإدماجه نحويا في قصة الراوي، كأن نختصر أو نحذف الانطباعات العاطفية. والدرجة الأخيرة من تغيير كلام الشخصية هي: الخطاب المروي، ويُكتفَى فيه بتسجيل مضمون عملية الكلام دون الاحتفاظ بأي عنصر منه[5].

وفي مقال سابق كان تودوروف Todorov يرى أن هناك نمطين رئيسيين من أنماط السرد، هما: التمثيل (التقديم- أو العرض) (représentation) والقص (narration)، يقول تودوروف: " يمكن أن نفترض أن هاتين الصيغتين في السرد المعاصر تأتيان من مصدرين مختلفين: الإخبار (la chronique) والدراما (le drame) والإخبار أو التأريخ، حسب ما نعتقد، حكي خالص، حيث يكون المؤلف مجرد شاهد ينقل الوقائع، والشخصيات الروائية لا صوت لها، والقواعد المتبعة هي قواعد الجنس التاريخي. وعلى العكس من ذلك، ففي الدراما لا تنقل القصة خبرا؛ فهي تجرى أمام أعيننا... فليس هناك سرد، والحكي مضمَّن في حوار الشخصيات الروائية "[٦].

أما جنت Genette فيقارب الصيغة السردية، معتمدا على تعريف ليتريه Littré وهو يحدد المعنى النحوي لمادة (mode) بأنها " اسم يعطى لأشكال الفعل المختلفة المستخدمة لتأكيد الشيء المقصود، وللتعبير عن وجهات النظر المتغايرة "[٥] فيرى أن هذا التعريف شديد الأهمية، إذ إننا نستطيع أن نروي كثيرا أو قليلا مما يُروى، وأن نرويه من وجهة النظر هذه أو تلك، وهذه القدرة وأشكال ممارستها، هي التي تشير إليها مقولة الصيغة السردية التي يقترحها[٧]. ومن ثم

فالمسافة التي يكون عليها فعل القص (Le récit) من القصة (L'histoire) التي يتضلع بوصفها، وكذلك المنظور أو وجهة النظر التي يتبناها هما- يقول جنت Genette- الشكلان الأساسيان لذلك التنظيم الذي يتشكل فيه الخبر السردي، ويسمى الصيغة[8].

بعد ذلك يتحدث عن حكاية الأحداث، وأنها مهما تكن صيغتها فهي دائما حكاية، أو نقل لغير اللفظي إلى ما هو لفظي، ثم حكاية الأقوال التي يميز فيها بين حالات ثلاث من خطاب الشخصية تبعا للمسافة السردية:

١- الخطاب المسرود، أو المروى (Le discours narrativisé) وهو الحالة الأبعد مسافة والأكثر اختزالا. وفيه يختفي تماما كل صوت ماعدا صوت الراوي، الذي يسرد الأحداث وأقوال الشخصيات، سواء بسواء، بلغته هو، فلا يعود من كلام الشخصيات غير أثر ضعيف، ربما يُرجع إليهم لكنه لا يعبر عنهم.

٢- الخطاب المحول (Le discours transposé) أو الأسلوب غير المباشر (Le Style indirect) وهو خطاب أكثر محاكاة من الخطاب المروي، يكون فيه حضور السارد شديد الوضوح، ويتداخل فيه

صوته مع أصوات الشخصيات، وربما تتماهى لذلك وجهتي النظر، تلك الخاصة بالسارد والأخرى الخاصة بالشخصيات، حتى لا نستطيع أن نضع فاصلا بينهما لنقول إن هذا للراوي وذاك للشخصية؛ مما يمنع الخطاب أن يفرض نفسه باستقلال وثائقي يتوفر أكثر في الاستشهاد؛ فالسارد هاهنا لا يكتفي بنقل الأقوال، وإنما يدمجها في خطابه الخاص، ويؤديها بأسلوبه.

٣- الخطاب المنقول (Le discours rapporté) وهو أكثر الأشكال محاكاة، وفيه يتظاهر السارد بإعطاء الكلمة حرفيا لشخصياته. والعجب أن واحدة من أكبر طرق تحرر الرواية الحديثة قد قامت على دفع محاكاة الخطاب هذه إلى أقصى مداها، بل إلى منتهاها، وهي تمحو آخر آثار المقام السردي معطية الكلمة منذ البدء للشخصية السردية[٩].

وربما أضاف بعضهم، إلى هذه الحالات الثلاث، حالات أخرى من خطاب الشخصية، منها: الأسلوب غير المباشر الحر (Le Style indirect libre) وهو ليس إلا تنويع على الخطاب المحول. والخطاب المباشر أو الاستشهاد النصي بخطاب الشخصية (Le discours immédiat) وفيه يمحي الراوي، وتحل محله الشخصية[١٠]، وهناك

أيضا الخطاب المباشر الحر وهو، فيما تقول شلوميت كنعان، الشكل النموذجي لضمير المتكلم في المونولوج الداخلي[١١].

ولكننا في دراستنا لطرائق القول في القصص القرآني، لن نكون بحاجة لكل هذه الحالات؛ لأن التنوع في الصيغ- كما سنرى- ليس كبيرا، ويمكن حصره في الحالات الثلاث التي عرض لها جنت Genette في حديثه عن حكاية الأقوال، الذي يمكن أن نضمنه- دون أي خوف من خطر الوقوع في اللبس- حكي الأحداث، الذي يأتي بصيغة الخطاب المسرود، وبذلك يقع ضمن الحالة الأولى التي تحدث عنها (صيغة الخطاب المسرود) وفيها يوجز المتكلم أقوال الشخصيات، كما يسرد أي حدث، فلا يكون هناك أي علاقة بين كلامه وما تنطق به الشخصيات، اللهم إلا مرجعية تكاد تكون مبهمة لمحتوى كلام تلك الشخصيات. وإذا كانت الحالة الأولى تشمل حكي الأحداث والأقوال، فإن الحالة الثانية (صيغة الخطاب المعروض) تختص بحكي الأقوال فحسب، وتأتي في أشكال مختلفة، منها: صيغة الخطاب المنقول المباشر، وفيه نجد نص حوار الشخصيات كما جرى في الواقع، لكن ينقله متكلم خارجي (غير شخصيات الحوار) مع الإشارة بوضوح إلى أن الكلام لتلك الشخصيات؛ وصيغة الخطاب المنقول غير المباشر، وفيها

ينقل المتكلم حوار الشخصيات دون الإشارة إلى ذلك، وأخيرا صيغة الخطاب المعروض غير المباشر، حين يتداخل الخطاب المسرود والخطاب المعروض تداخلا يصعب الفصل فيه بين الصيغتين.

قصص آدم عليه السلام

أ- في سورة ص

﴿ قل هو نبأ عظيم (٦٧) أنتم عنه معرضون (٦٨) مَا كَانَ لِـيَ مِـنْ عِلْمٍ بِالْمَلإِ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٧٠) ﴾ يبدأ القص بصيغة المعروض غير المباشر في تداخل صيغي، يجمع بين المسرود والمعروض في صيغة موحدة، حيث يبدأ الخطاب بصيغة المسرود الموجه مباشرة من القائل عز وجل إلى محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ قل هو نبأ عظيم ﴾ ثم تتحول الصيغة ضمن المسرود إلى صيغة المنقول المباشر حيث تتداخل الصيغتان تداخلا ظاهريا سرعان ما يتكشف عن صيغتين متغايرتين، ووظيفتين مختلفتين أولاهما أمر بالقول، والأخرى تنفيذ هذا الأمر في سرعة توحي باندماج الأمر في الفعل. فها هو النبي

محمد صلى الله عليه وسلم أمام كفار مكة يتحدث إليهم، قبل اكتمال ما أريد منه، ليكتمل في عمله هو- اختصارا معجزا بليغا- فالخطاب المسرود في صيغة الأمر لا يستغرق أكثر من آية ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) ﴾ وهناك بقية تأتي في صيغة أخرى، صيغة المنقول المباشر.

وبعد القطع يأتي الخطاب بصيغة المنقول المباشر كذلك مع اختلاف الصوت ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) ﴾ يلي هذا موجز بصيغة الخطاب مسرود، يجمل أحداثا عظيمة تخص آدم عليه السلام ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) ﴾ ويضيء لنا جانبا في طبيعة الملائكة وطاعتها المطلقة لأوامر ربها، وجانبا مضادا مركوزا في طبيعة إبليس هو عصيانه المطلق. ومن ثم تعود صيغة المنقول المباشر لتستمر حتى نهاية القصة.

ب- في سورة الأعراف

يبدأ الخطاب القصصي بصيغة الخطاب المعروض، بضمير الجماعة نا الدال على العظمة والقدرة المطلقة، المتصرفة في الأشياء، خلقا وتصويرا، وإرادة ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا

لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١) ﴾ ومن ثم يتحول ضمير الجماعة إلى ضمير الغائب المفرد، وتتحول الصيغة إلى صيغة الخطاب المنقول المباشر، التي هي تنويع على الصيغة الرئيسية، صيغة الخطاب المعروض، بها يجري تقديم الحكي، مع اختلاف موقع الصوت الذي يقدمه، من داخل القصة إلى خارجها ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ ﴾... (١٨) هذا التحول، من ضمير الجماعة إلى ضمير الغائب، يتكفل بدور كبير في تطويع أسلوب القص للموقف المحكي؛ فعندما كان الحديث عن الخلق والتصوير والأمر بالسجود.. ناسب ذلك استعمال ضمير الجماعة، فهو حديث عن تكريم المخاطبين، وفي الخطاب المباشر تكريم لهم، ثم عندما جاء الحديث عن إبليس وعصيانه ناسب أن يكون ذلك بضمير مختلف، وبصيغة الخطاب المنقول المباشر التي هي كالأولي لكن ينقلها هنا ناقل (وسيط) ربما إلماحا لعظم الأمر الواقع من إبليس، وإمعانا في إبعاده، وطرده من أي معية حتى ولو كانت لغوية.

ويتحول الخطاب إلى آدم متخذا الصيغة ذاتها، في خطاب معروض مباشر ﴿ وَيَا ءَادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ

شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) ﴾ تكريما لآدم فلا وسيط، إنما نرى نحن، ونسمع ما كان، كما كان.

وفي صيغة المسرود يوجز النص لنا ما كان من وسوسة الشيطان لهما، وهدفه من ورائها، ونتيجتها من ظهور السوءة، والخصف من ورق الجنة ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٢) ﴾ وضمن المسرود المؤطر لهذا الجزء من القصة يأتي المنقول المباشر وغير المباشر للإخبار بما كان من إبليس وإغوائه آدم، ونصحه الزائف، وحلفه الكاذب، وكأنه لم يترك سبيلا ممكنا لإغواء آدم إلا سلكه. وبع ذلك يأتي العتاب والتوبة والأمر بالهبوط إلى الأرض في الصيغة التي رأيناها قبل قليل مع إبليس في حواره مع ربه، صيغة الخطاب المنقول المباشر، التي يتكفل بتقديمها صوت خارجي، وتأتي بضمير المفرد الغائب. فقد ابتعد آدم بذنبه درجة، فلم يعد الخطاب كما كان أولا، يقول تعالى ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن

تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢) قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٢٤) ﴾.

جـ- في سورة طه

تبدأ القصة مع الخطاب المعروض، بضمير الجماعة نا الدال على العظمة، في مقدمة للحكاية توجز فحواها ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى ءَادَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥) ﴾ وتستمر الصيغة ذاتها لنتعرف على ما كان من طاعة الملائكة وعصيان إبليس، وتحذير آدم من عداوته ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاّ إِبْلِيسَ أَبَى (١١٦) فَقُلْنَا يا آدم إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلاّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى (١١٩) ﴾ ومن ثم يتداخل الخطاب المسرود مع المنقول المباشر، ليوجز أحداث إغواء الشيطان لآدم، وخطيئته، وتوبته ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يا آدم هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى (١٢٠) فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢) ﴾ ولعل تداخل الصيغتين: المسرود والمنقول المباشر، في حدث إغواء الشيطان،

يعود لأهمية نص كلام الشيطان، وتلبيسه، الذي يعد مدخلا من مداخله إلى بني آدم: الإغواء بالخلد والملك. وفي صيغة المنقول المباشر كذلك يأتي الأمر بالهبوط، والترغيب في اتباع هدى الله متى جاء ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) ﴾.

د- في سورة الإسراء

مع صيغة الخطاب المعروض، يبدأ القص بضمير الجماعة ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ ﴾ ومن ثم تعوضه صيغة المنقول المباشر حتى نهاية القصة، ويتحول الضمير من الجماعة إلى المفرد مع تحول الصوت من المتكلم إلى الغائب ﴿ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلا (٦٢) قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (٦٣) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلا (٦٥) ﴾.

هـ- في سورة الحجر

تبدأ القصة بصيغة الخطاب المعروض، بضمير الجماعة الدال على العظمة، وطلاقة القدرة المتصرفة في مادة الخلق ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٧) ﴾ ثم تتحول الصيغة إلى المنقول المباشر، ويتحول الضمير إلى المفرد، في خلق آدم وطلب السجود ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) ﴾ ثم في صيغة المسرود يوجز الخطاب أحداث طاعة الملائكة، وعصيان إبليس ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلاّ إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) ﴾ ومن ثم يأتي حوار الله تعالى مع إبليس في صيغة المنقول المباشر حتى نهاية القصة (٣٢-٤٤).

و- في سورة البقرة

نبدأ مع صيغة المنقول المباشر، التي تهيمن على القصة كلها بدءًا من حوار الله تعالى للملائكة حول خلق آدم، ثم إعداده للخلافة في الأرض، وسجود الملائكة وامتناع إبليس... حتى الهبوط إلى الأرض،

يتخللها من حين لآخر صيغة المسرود التي تضيء جوانب في القصة بإيجازها لأحداث كثيرة في كلمات قليلة ﴿ إلاّ إبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) ﴾ ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ (٣٦) ﴾ ﴿ فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(٣٧) ﴾.

محاولة تجميع

لننظر الآن في وظائف قصة آدم عليه السلام الست الرئيسية، وفي علاقتها ببحث الصيغة:

١- الإخبار بخلق آدم

يأتي تبعا لطبيعة الإخبار معروضا في صيغة المنقول المباشر، لينقل لنا المشهد الذي يخبر الله فيه الملائكة بخلق آدم، في سور: ص، والحجر، والبقرة.

٢- سجود الملائكة وامتناع إبليس

تبدأ هذه الوظيفة بالأمر بالسجود، في صيغة الخطاب المعروض، في مكانها من السياق ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ

سَاجِدِينَ ﴾ في سورتي: ص، والحجر. ﴿ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ ﴾ في سور: الأعراف، وطه، والإسراء، والبقرة. ويلاحظ أن طلب السجود لآدم في سورتي: ص، والحجر، يأتي مرتبطا بالنفخ فيه من روحه سبحانه وتعالى، لأن الإخبار هاهنا كان عن خلق بشر من صلصال، أو من طين. وكأن السجود كان تكريما لروح الله المضاف إلى الطين في آدم عليه السلام. وبعد الأمر بالسجود تأتي النتيجة مجملة في صورة الخطاب المسرود الذي يوجز لنا مرحلة فاصلة في قصة آدم عليه السلام، ويضيء جوانب مهمة في بناء شخصيات القصة: آدم وما كان من تكريم الله إياه بأمره الملائكة أن يسجدوا له بعد أن خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه. والملائكة، بطاعتهم وامتثالهم لأمر الله، وتسليمهم العميق الذي لا يشوبه شائبة تردد. وأخيرا إبليس باستكباره، وكفره، وحقده، وعناده.

٣- سكنى آدم وزوجه الجنة

يأتي في صيغة الخطاب المعروض، حيث نستمع إلى أمر الله تعالى لآدم وزوجه بسكنى الجنة، والأكل مما فيها من نعم، ونستمع كذلك إلى نهيه لهما عن الاقتراب من شجرة معينة فيها، وتحذيره لهما من عدوهما إبليس. نستمع إلى أمرين: (اسكن- كلا) وإلى نهيين: (لا

تقربا- لا يخرجنكما) الأمران متلازمان: السكنى والأكل، والنهيان كذلك متلازمان متبادلان؛ فالشيطان أخرجهما من الجنة بأن سول لهما الاقتراب من الشجرة المحرمة والأكل منها، وهذا التبادل يبين نوع التحذير من إبليس العدو، وأنه لم يكن تحذيرا من أشياء متعددة، بل كان تحذيرا من شيء واحد معين: من الاستماع إلى إبليس والأكل من الشجرة ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [الأعراف: ٢٢].

٤- طرد إبليس (من الجنة / من رحمة ربه / من منزلته التي كان فيها):

إن الوظيفة الخاصة بسجود الملائكة وامتناع إبليس، تهيمن عليها صيغة الخطاب المنقول المباشر، حين نرى المشهد معروضا في حوار بين الله وإبليس، في سور: ص، والأعراف، والإسراء، والحجر. وهذه الوظيفة (طرد إبليس) من أطول وظائف السرد في قصة آدم عليه السلام، فهي ليست وظيفة أساسية في قصة آدم فحسب، بل هي وظيفة أساسية في قصة الحياة بصفة عامة؛ فهناك منذ أزمان سحيقة وقف إبليس موقفا أدى إلى أن يطرده الله من رحمته، أو من جنته؛ فتوعد من كان سببا في طرده، وتوعد أبناءه من بعده، وبداخله حقد متقد متجدد،

ناره لا تخمد، فقطع الوعد على نفسه بإغواء ذرية آدم إلا المخلَصين منهم، فلا سلطان له عليهم. وهذه الوظيفة لأهميتها تأتي في صيغة الخطاب المعروض، تلك الصيغة التي تنقل الموقف بكافة تفاصيله إلى المتلقي- المشاهد في هذه الحالة.

ونلاحظ اختلافا في طريقة عرض هذه الوظيفة في سورة الإسراء عنها في السور الأخرى. فالحوار يبدأ في السور الثلاث الأخرى، بسؤال الله إبليسَ عما منعه من السجود- تبكيتا- أما في الإسراء، فيبدأ باستنكار إبليس واستنكافه أن يسجد لمخلوق من طين، وتطاوله على ربه منذ البداية ﴿ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلا (٦٢) ﴾ لهذا يأتي توعد الله له هاهنا مصحوبا بإخباره بكل سبل الغواية التي يستطيع أن ينفذ منها إلى بني آدم، ويأتي استطراد بصيغة المسرود ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا (٦٤) ﴾ فكل ذلك محض هباء باطل.

٥- الخطيئة والتوبة:

تأتي هذه الوظيفة في صيغة الخطاب المسرود، متبوعة بصيغة ملازمة هي صيغة المنقول المباشر. ففي الأعراف ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ

لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ ﴾ ﴿ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا ﴾ وفي سورة طه ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ ﴾ ﴿ فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢) قَالَ ﴾ وفي سورة البقرة ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ﴾ ﴿ فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا ﴾ هذا التعليق الذي يتكفل به صوت خارجي، ويأتي في صيغة الخطاب المسرود، يتداخل مع صيغة الخطاب المعروض التي تهيمن على القصة؛ وهذا التداخل يؤدى إلى الإحاطة بجميع جوانب حدث الخطيئة والتوبة.

٦- الهبوط إلى الأرض:

﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٢٤) ﴾ [سورة الأعراف]. ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى (١٢٣) ﴾ [سورة طه]. ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) ﴾ [سورة الحجر]. ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ

لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦) ﴾ [سورة البقرة]. تأتي هذه الوظيفة في صيغة الخطاب المنقول المباشر، وتنتهي بآدم وذريته خلفاء في الأرض وإبليس عدو لهم.

قصص نوح عليه السلام

١- إرسال نوح والدعوة إلى عبادة الله وحده

تأتي هذه الوظيفة في صيغتين متلازمتين، حيث تبدأ بصيغة الخطاب المعروض، ثم تتحول إلى صيغة المنقول المباشر، مع تحول الضمير من نا الدالة على القدرة والعظمة، بوجودها الفاعل في القص، إلى ضمير الغياب، حيث يجري نقل قول نوح عليه السلام نقلا مباشرا. ففي سورة الأعراف ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يا قوم اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) ﴾ تبدأ بخطاب مباشر من الله تعالى ينبثق عنه نقل خطاب نوح إلى قومه، والصيغة نفسها تأتي في سور: هود، ونوح، والمؤمنون، والعنكبوت.

٢- تكذيب قومه له

ليست هناك صيغة ثابتة لهذه الوظيفة: فمرة تأتي بصيغة المسرود، كما في سورة الشعراء ﴿ كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) ﴾ وتأتي بصيغة الخطاب المعروض، كما في سورة يونس ﴿ فَكَذَبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ (٧٣) ﴾ وتأتي بصيغة المنقول المباشر، كما في سور: هود ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاّ بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧) ﴾ والمؤمنون ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الأَوَّلِينَ (٢٤) إِنْ هُوَ إِلاّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ (٢٥) ﴾ والأعراف ﴿ قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٦٠) ﴾ ونوح ﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) ﴾.

٣- الأمر بصناعة الفلك

في سورة هود: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاّ مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا

وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٣٧) وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) ﴾ نبدأ مع صيغة الخطاب المحول (المنقول غير المباشر) والوحي إلى نوح بثبات قومه على الكفر. ثم يأتي أمر الله إلى نوح بصناعة الفلك في صيغة الخطاب المعروض، ثم يأتي الخطاب المسرود موجزا ومجملا تنفيذ هذا الأمر، وما لقي نبي الله في سبيل ذلك من أذى بسخرية قومه منه. ثم مع المنقول المباشر نستمع إلى رده على قومه في ثقة وطمأنينة. وفي سورة المؤمنون، تأتي بصيغة الخطاب المعروض ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٢٧) فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٨) ﴾.

٤- الطوفان، ونجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين

تأتي هذه الوظيفة في صيغة الخطاب المعروض بضمير العظمة والقدرة المتصرفة، في سور: القمر ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) ﴾ والأعراف ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤) ﴾ والشعراء ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠) ﴾ وكذلك في سور: يونس، ونوح، والعنكبوت، والمؤمنون- وفي سورة هود، تأتي في صيغة الخطاب المعروض يتداخل معها المنقول المباشر وتنضاف تعليقات خارجية في صيغة الخطاب المسرود ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ (٤٠) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤) ﴾.

قصص هود عليه السلام

١- إرسال هود، والدعوة إلى عبادة الله وحده

تأتي هذه الوظيفة في صيغة المنقول المباشر، بعد أن يتم التحضير لها في صيغة الخطاب المسرود، كما في سورة الأعراف ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ (٦٥) ﴾ وفي سورة هود ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ مُفْتَرُونَ (٥٠) ﴾ وأيضا في سورة الشعراء. وتختلف الصيغة في سورة الأحقاف، حيث تبدأ بصيغة المنقول غير المباشر، التي تحضر لصيغة الدعوة الرئيسية (المنقول المباشر) ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١) ﴾.

٢- تكذيب قومه له، يأتي بصيغة المنقول المباشر كما في سور: الأعراف ﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ... [الآية] ﴾ والشعراء، وهود، والأحقاف.

٣- نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين

تأتي هذه الوظيفة في صيغة الخطاب المعروض، بضمير العظمة والقدرة القاهرة المتصرفة في الكون بما تشاء، في سورة القمر ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٢١) ﴾ وسورة الأعراف ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٧٢) ﴾ وكذلك في سورة الشعراء، وفي سورة هود: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠) ﴾ حيث توجز أحداث القصة منذ بدء الدعوة إلى يوم القيامة. وفي الأحقاف تتداخل صيغ الخطاب المسرود والخطاب المنقول المباشر وغير المباشر، والخطاب المعروض كذلك، في دلالة على عظم الحدث... ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (٢٥) ﴾.

قصص صالح عليه السلام

١- إرسال صالح والدعوة إلى عبادة الله وحده

تأتي هذه الوظيفة كما في قصص هود عليه السلام في صيغة المنقول المباشر، بعد أن يتم التحضير لها في صيغة الخطاب المسرود، كما في سور: الأعراف ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ ﴾ والشعراء ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ﴾ وهود ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ ﴾ وفي النمل تفتتح بصيغة الخطاب المعروض التي تعوضها صيغة الخطاب المنقول غير المباشر ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥) قَالَ ﴾ بإدماج دعوة صالح في سرد حدث الإرسال، وكأن وظيفة الدعوة ليست مقصودة في السياق وإنما مكر القوم وإنكارهم للحق هو المقصود.

٢- سيرة الدعوة، وتكذيب قوم صالح

تسيطر هاهنا صيغة الخطاب المنقول المباشر، وتتخللها أحيانا صيغة المسرود للربط بين الأحداث، أو لإيجاز أحداث كثيرة لا حاجة للقصة بتفصيلها، كحدث عقر الناقة الذي يأتي دائما في صيغة المسرود، في سور: القمر ﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٢٩) ﴾ والأعراف ﴿

فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ (٧٧) والشعراء ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (١٥٧) ﴾ وفي سورة هود ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ (٦٥) فيمر غامضا كالحلم، لتبقى فقط نتيجة هذا الفعل قائمة؛ فالوقوع في الخطيئة سهل يسير، أما الخطير فهو مغبة هذا الوقوع في الخطيئة.

٣- نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين

تأتي بصيغة الخطاب المعروض كما في سور: القمر ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٣٢) ﴾ والنمل ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣) ﴾ وهود ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٦٧) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِثَمُودَ (٦٨) ﴾ وفي الأعراف تأتي في صيغة الخطاب المسرود إيجازا وإجمالا ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨) ﴾ وبالصيغة ذاتها تأتي في سورة الشعراء، وللغرض ذاته، الإيجاز والإجمال، فما أهون شأنهم.

قصص لوط عليه السلام

١- سيرة الدعوة، وتكذيب قوم لوط

في سورة الأعراف نجدنا أمام الدعوة مباشرة، دون التقديم الذي كان يسبق قصص نوح، وهود، وصالح، وشعيب على نحو ما مر بنا ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ ﴾ (٥٩) ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ ﴾ (٦٥) ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ ﴾ (٧٣) ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ ﴾ (٨٥) أما عند لوط، فتبدأ القصة مع دعوة لوط قومه في صيغة الخطاب المنقول المباشر ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١) ﴾ وكذلك في سورتي الشعراء وهود: في سورة الشعراء تأتي صيغة المسرود لتقديم القصة التي تستمر بعد ذلك في صيغة المنقول المباشر ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١)... قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (١٦٨) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩) ﴾ وفي سورة هود تبدأ القصة بمسرود، يتخلله منقول مباشر ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ

﴾ ثم تكتمل الأحداث بصيغة المنقول المباشر ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٨) قَالُوا ﴾.

٢- نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين

تأتي هذه الوظيفة بكاملها بصيغة واحدة، هي صيغة الخطاب المعروض، مع اختلاف السياقات. ففي سورة القمر، بعد التحضير في صيغة الخطاب المسرود ﴿ كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلاَّ ءَالَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٩) ﴾ وفي سورة الأعراف ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤) ﴾ وسورة الشعراء ﴿ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ(١٧١) ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٤) ﴾ وسورة هود ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (٨٢) مُسَوَّمَةً

عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣) ﴾ وسورة الحجر ﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٧٤) ﴾ وفي سورة العنكبوت ﴿ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا ءَايَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥) ﴾ وكأن ثم أمرا خاصا جللا، وخطيرا، جعل إهلاكهم يتكفل به ضمير العظمة القاهرة المتصرفة، في صيغة الخطاب المعروض.

قصص شعيب عليه السلام

١- إرسال شعيب، والدعوة إلى عبادة الله وحده

تأتي هذه الوظيفة كما في قصص صالح عليه السلام في صيغة المنقول المباشر، بعد أن يتم التحضير لها في صيغة الخطاب المسرود ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٥) ﴾ [سورة الأعراف] وكذلك في سورتي: الشعراء وهود.

٢- سيرة الدعوة، وتكذيب قوم شعيب

تأتي في صيغة المنقول المباشر، لتعرض علينا ما كان بين الجانبين بكل تفاصيل الدعوة والتكذيب، بعد أن يجري التمهيد لها بصيغة الخطاب المسرود، كما في سور: الأعراف ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ... ﴾ وهود ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ... ﴾ والشعراء ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ... ﴾.

٣- نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين

تأتي هذه الوظيفة في صيغة الخطاب المسرود، في سورتي: الأعراف ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١) ﴾ والشعراء ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩) ﴾ وفي هود تتشارك صيغتا الخطاب المعروض، والخطاب المسرود في تقديم الحكي ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (٩٥) ﴾.

قصص موسى عليه السلام

وقصص موسى على طوله، وانتشاره في القرآن الكريم، يأتي في صيغة أساسية، هي صيغة الخطاب المعروض، وتأتي صيغة المسرود لتتخللها مجملة أحداثا كثيرة، كما نرى مثلا في وظيفة إهلاك فرعون التي تأتي غالبا بصيغة الخطاب المعروض، وبضمير العظمة القاهرة المتصرفة التي لا يعجزها شيء مهما علا وبغى وطغى وتجبر. ففي سورة الأعراف ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧) ﴾ وفي سورة الشعراء ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) ﴾ ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٦٦) ﴾ وفي سورة القصص ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ (٤١) ﴾ فتفصيل الأحداث هاهنا لا جدوى من ورائه، إنما المهم أن نعرف ما وقع بهذا المستكبر وقومه، فكانت صيغة الخطاب المعروض في دقتها وصرامتها في تقديم الأحداث... ثم إن هذه

الصيغة بإجمالها حدث الإهلاك هكذا، فإنها تدل على هوان فرعون وقومه وسهولة أخذهم على الله عز وجل.

بعد ذلك تأتي وظائف: الاختيار، والدعوة، والاستكبار والتكذيب... تبدأ وظيفة الاختيار للرسالة بصيغة الخطاب المعروض غير المباشر الذي يتداخل فيه المسرود بالمنقول المباشر، وهذا الأخير سرعان ما يفرض هيمنته على الوحدة نجد هذا في سورة طه ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يا موسى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣) ﴾ وفي سورة القصص ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يا موسى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يا موسى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ (٣١) اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلإِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٣٢) ﴾ **وهذا التداخل للمسرود والمنقول المباشر، في صيغة المعروض غير المباشر، هاهنا يناسب عرض الحالة النفسية التي كان عليها موسى في ذلك اللقاء الأول بينه وبين ربه.**

وتأتي وظيفة الدعوة في صيغة صريحة هي صيغة الخطاب المنقول المباشر بعد أن يتم التحضير لها في صيغة الخطاب المعروض بما يحمله من صفات التحكم والقدرة التامة، كما نرى في سورة الأعراف ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣) وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤) ﴾ وفي سورة القصص ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الأَوَّلِينَ (٣٦) وَقَالَ مُوسَى ﴾ بينما يختلف الأمر قليلا في سورتي: طه والشعراء، حيث تأتي وظيفة الدعوة بالصيغة نفسها ولكنها منبثقة عن الوظيفة السابقة لها (الاختيار للرسالة) ففي سورة طه ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٤٨) قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) ﴾ وفي سورة الشعراء ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٧) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) ﴾.

ثم وظيفة الاستكبار والتكذيب، ويهيمن عليها صيغة المنقول المباشر، يتخللها المسرود أحيانا، كما في سورة الأعراف ﴿ قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) ﴾... (١٢٧) وفي سورة طه تبدأ بصيغة الخطاب المعروض، التي تجمل ما يرفع العذر عن فرعون ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذبَ وَأَبَى (٥٦) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (٥٧) ﴾ ... (٧٦) وفي سورة الشعراء ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَائِكُمُ الأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) ﴾... (٥٦) وفي سورة القصص ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَـهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَـهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨) وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ (٣٩) ﴾.

قصة موسى والعبد الصالح

تهيمن على القصة صيغة الخطاب المنقول المباشر، تتخللها صيغة الخطاب المسرود، لكن التقديم للقصة يأتي في صيغة الخطاب المعروض بضمير العظمة والقدرة المتصرفة في الكون بما تشاء ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) ﴾ وهذه الآية هي النواة الرئيسية أوالمحور الرئيسي للقصة؛ فكل ما سيأتي من علم الله ومن رحمته، والعبد الصالح يقول في آخرها: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢) ﴾.

قصة يوسف عليه السلام

تبدأ القصة بصيغة الخطاب المعروض، ودائما بضمير العظمة، ومن غير العليم الخبير يمكن أن يخبر بكل هذا: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣) ﴾.

١- رؤيا يوسف (٤- ٦)

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٥) وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦) ﴾ تأتي بصيغة الخطاب المنقول المباشر، وتكتمل بصيغة المسرود، إذا كان الكلام لغير يعقوب عليه السلام (لله تعالى).

٢- حسد الإخوة (٧- ١٨)

يهيمن هاهنا الخطاب المنقول المباشر يتخلله المسرود، الذي تبدأ به الوحدة ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (٧) إِذْ قَالُوا ﴾ ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٥) وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) ﴾ ولعل الوحي هنا كان إلى يوسف تثبيتا لقلبه في هذا الموقف الشديد... وإن كان السياق يقبل كذلك أن يكون الوحي إلى يعقوب، حيث

نبأ أبناءه بأمر أكل الذئب ليوسف، وخوفه من ذلك. فكان السبب الذي اتكأوا عليه هو ما نبأهم به يعقوب من قبل ﴿ فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ﴾..

٣- يوسف عند عزيز مصر (١٩- ٢٢)

تأتي هذه الوحدة بصيغة المسرود لتوجز جانبا من الأحداث، ويأتي المنقول المباشر متخللا المسرود لعرض الأقوال المصيرية في حياة يوسف: ﴿ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ ﴾ ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾.

٤- محنة المراودة (٢٣- ٣٤)

نفتتح هذه الوظيفة بصيغة المسرود، نتعرف خلالها إجمالا على الحدث الخطير ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ ﴾ تحضيرا للمنقول المباشر وتفصيل الدقائق ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) ﴾ ثم في صيغة المسرود يجري تقديم مجمل سريع، ليس للأحداث الجارية فحسب، وإنما هناك انفتاح كذلك على آفاق أخرى تحدد على وجه الدقة مسار الأحداث ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) وَاسْتَبَقَا

الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ لتبدأ صيغة المنقول المباشر، ونشارك في الأحداث مستمعين إلى الحوار الذي دار ﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاّ أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ﴾ ثم يأتي كلام الشاهد بعد ذلك بصيغة المنقول غير المباشر ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) ﴾ فلم يكن الشاهد حاضرا، وإنما حكيت له الوقعة؛ فشهد بما شهد وناسبت الصيغة حديثه. ثم في صيغة المنقول المباشر، ههنا حيث كان الشاهد حاضرا بنفسه، يعاين الأحداث: ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩) ﴾ قد يكون الشاهد عندما رأى قال، ويحتمل السياق أن يكون زوجها هو القائل، ردا على قولها ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا ﴾ ويستمر السرد بصيغة المنقول المباشر حتى نهاية الوحدة، تتخللها وتختمها صيغة المسرود، إيجازا وإجمالا ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤) ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (٣٥) ﴾.

٥- يوسف في السجن (٣٥- ٤٩)

نبدأ مع المسرود الذي يتحول إلى المنقول المباشر: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَان قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦) قَالَ ﴾ السرد يوجز الأحداث، والعرض ينقل المشاهد الفاعلة التي تمثل الجوانب الرئيسية في القصة: سؤال الفتيين يوسف تأويل حلميهما، ودعوة يوسف لهما إلى عبادة الله وحده، وتأويل الحلمين، ثم تأويل رؤيا الملك والتبشير بعام الغوث.

٦- براءة يوسف، والتمكين له (٥٠- ٥٧)

تبدأ الوحدة مع الصيغة المهيمنة (المنقول المباشر) بطلب الملك ليوسف، واعتراف النسوة بعفته، واستخلاص الملك له، والتمكين له في الأرض، وتختم بصيغة الخطاب المسرود ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧) ﴾.

٧- قدوم إخوته عليه، واجتماعه بأخيه (٥٨- ٨٣)

نبدأ الوحدة مع المسرود تمهيدا لما يلي من أحداث ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٥٨) وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ﴾ ومن ثم تهيمن صيغة المنقول المباشر على الوحدة، في مشاهد حية نعيشها مع أصحابها.

٨- تأويل الرؤيا (٨٤- ١٠١)

تهيمن هاهنا صيغة الخطاب المعروض (المنقول المباشر) يتخللها المسرود، وتنتهي الوحدة بخطاب معروض مباشر بصوت يوسف عليه السلام ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ(١٠١) ﴾.

قصة قارون

نفتتح القصة بصيغة الخطاب المعروض، ودائما مع ضمير العظمة المتصرفة بما تشاء، رفعا وخفضا، إغناء وإفقارا... ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ

قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ [سورة القصص: ٧٥] في ومضات سريعة تعرف بمجمل القصة.

ثم يأتي نصح قومه له في صيغة المنقول المباشر ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ ويتحول الخطاب إلى صيغة المسرود ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ وكأنه محض دمية تعرض على الناس ليُفتنوا بها. ومن ثم يأتي خطاب المشاهدين في صيغة المنقول المباشر ﴿ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ (٨٠) ﴾ ثم يأتي الخطاب المعروض موجزا ما كان من نهاية رهيبة ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (٨١) ﴾ وتختم القصة بصيغة المنقول المباشر ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ

تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) ﴾.

قصص سليمان عليه السلام

نبدأ مع سليمان، وفتنة الصافنات الجياد، وفي صيغة الخطاب المعروض، تتكشف لنا منطقة مهمة في تاريخ النبي سليمان العبد الأواب، وتلك القدرة التي تهب بدون حد ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) ﴾ ومن ثم تأتي صيغة المنقول المباشر ومعها صيغة المسرود كذلك؛ الأولى تعرض علينا مدى أوابيته وحرصه الشديد على ذكر الله، وحبه لذلك ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴾ والصيغة الأخرى توجز أحداثا طويلة وتضعنا أمام الصورة الكلية ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ (٣٣) ﴾ وسواء كان ردها شكرا لله وأوبة سريعة إليه وتذكرا أنه صاحب الفضل في نعمة وجودها عنده، بشكره العملي الذي تمثل في مسحه الحاني بسوقها وأعناقها...

أم كان تخلصا منها قربى إلى الله لأنها شغلته عن ذكر ربه حتى صار بذلك كالجسد الذي لا روح فيه.. يقول تعالى في صيغة المسرود ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) ﴾ ولذلك يأتي قول سليمان في صيغة المنقول المباشر، مستغفرا وطالبا ملكا لا نبغي لأحد من بعده، لأنه تخلص من الجياد تقربا إلى ربه ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥) ﴾.

٢- ومن ثم تأتي الوحدة الثانية: ملك سليمان، في صيغة الخطاب المعروض، بعظمة نا الفاعلين، الدالة على عظيم قدرة الواهب، وعظم الهبة ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاص (٣٧) وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (٤٠) ﴾ وفي سبأ كذلك ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣) ﴾.

٣- ملك سليمان، ودوره في الدعوة إلى الله

نحن هنا أمام مجموعة من المشاهد المعروضة، يتم الربط بينها بصيغة الخطاب المسرود، بدءا من تفقد سليمان للطير، وتوعده الهدهد، ومرورا بمجيء الهدهد من سبأ بنبأ يقين، ومن ثم التأكد من صدقه، وإرساله إلى ملكة سبأ، وهدية الملكة إلى سليمان، ثم انتقال عرش الملكة، وقدومها على سليمان، وتعرفها على عرشها، ثم إسلامها (٢٠- ٤٤) وهذه الوحدة يمكن أن نطلق عليها " إسلام ملكة سبأ " نرى هيمنة الخطاب المعروض، يتخلله المسرود قليلا، يوجه المعروض ويملأ الفراغات فيه ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ... فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ... أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ.... فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ.... فَلَمَّا جَاءَتْ قِيل... وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِين.... فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ... ﴾ إننا هنا نجد اعتمادا كبيرا على أقوال الشخصيات، ونجد حذفا كثيرا للأحداث، ربما اكتفاء بالأقوال، يظهر هذا جليا في فصل الزمن حيث القفزات الكبيرة التي نراها في سرد القصص، وهاهنا نجد محذوفات كثيرة تدل عليها القرائن

﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يا أيها الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩)...... وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ.... ﴾.

٤- موت سليمان

تأتي هذه الوحدة في صيغة الخطاب المسرود الذي يوجز أحداثا كثيرة: موته، واتكاؤه على منسأته، وأكل الأرضة لها، وخروره، ولبث الجن مع ذلك في العذاب المهين، ثم معرفتهم بموته، وندمهم على لبثهم في العذاب لجهلهم بموته... وكل أولئك يتصدره الخطاب المعروض بنا العظمة الدالة على القوة القاهرة المتصرفة في الكون بما تشاء ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤) ﴾.

قصة ابني آدم عليه السلام

نبدأ الوحدة مع الخطاب المسرود وتقديم القربان ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ ﴾ ومن ثم تأتي وحدة التهديد بالقتل في صيغة المنقول المباشر ﴿ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) ﴾ ثم تأتي وحدة القتل في صيغة المسرود إجمالا للقتل والنتائج التي ترتبت عليه ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) ﴾ بعد ذلك يأتي بعث الغراب، والندم في صيغة المسرود تتخللها صيغة المنقول المباشر ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١) ﴾.

قصة ذي القرنين

تبدأ القصة بصيغة الخطاب المعروض، في توجيه من الحق سبحانه وتعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم، فيما ينبغي عليه أن يقول، جوابا عن سؤال أهل الكتاب من اليهود، الذين استعان بهم كفار مكة لكشف صدق نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يا ذا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) ﴾ [سورة الكهف]. تتخللها صيغة المنقول المباشر ﴿ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِبُهُ عَذَابًا نُكْرًا(٨٧) وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا(٨٨) ﴾ ﴿ قَالُوا يا ذا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا

(٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) ﴾.

قصة عيسى ابن مريم عليهما السلام

١- ميلاد مريم (مريم في كفالة زكريا)

تهيمن هاهنا صيغة الخطاب المنقول المباشر ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذكرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) ﴾ [سورة آل عمران] وتستمر هيمنة العرض على الوحدة ، يتخلله قليلا الخطاب المسرود.

٢- ميلاد المسيح

نبدأ الوحدة مع الخطاب المسرود، الذي يتحول إلى صيغة الخطاب المعروض ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) ﴾ [سورة مريم] ومن ثم يتحول الخطاب إلى صيغة المنقول المباشر ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (٢١) ﴾ [سورة مريم] ثم المسرود ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ [سورة مريم] وتختم الوحدة بالمنقول المباشر ﴿ قَالَتْ يا ليتني مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢٦) ﴾ [سورة مريم].

وفي سورة آل عمران تأتي الوحدة كلها بصيغة الخطاب المنقول المباشر ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٧) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ (٤٨) وَرَسُولا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) ﴾.

٣- رسالة عيسى

تأتي هذه الوحدة بصيغة الخطاب المنقول المباشر، في سورة مريم ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ

أُبْعَثُ حَيًّا(٣٣) ﴾ وآل عمران: ﴿ وَرَسُولا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) ﴾.

٤- تكذيب قومه، وكفرهم، ومكرهم

تأتي كذلك في صيغة الخطاب المنقول المباشر، مع مدخل مسرود ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ ﴾ [سورة آل عمران].

قصة أصحاب الجنة

تبدأ الوحدة بصيغة الخطاب المعروض، ونا الدالة على العظمة وطلاقة القدرة وتصرفها ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ

(٢١) ﴾ ثـم تـأتي صـيغة المنقـول المباشـر، لتضـعنا في قلـب الأحـداث، يتخللها المسرود ربطا وإيجازا ﴿ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُون (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ(٣٢) ﴾ وتخـتم القصـة بالمسـرود الـذي يوجز الحكمة من تقديم القصة ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣) ﴾.

قصة أصحاب الكهف

تأتي القصة في صيغة الخطاب المعروض الذي يتجلـى فيـه ضـمير العظمة، متصرفا في خلقه وكونـه بمـا يشـاء، يتخللـه الخطـاب المسـرود مجملا لأحداث قد تطول ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ

لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا ﴾ ثم الخطاب المنقول المباشر، الذي يضعنا ضمن ما يجري من أحداث ﴿ فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَؤُلاءِ قَوْمُنَا ﴾..... (١٦) وبعد ذلك يسير الخطاب بصيغة المسرود، يشاركه قليلا الخطاب المعروض حين تأتي أهمية التدخل الإلهي ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ ويهيمن الخطاب المسرود فيما دون ذلك ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (١٧) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (١٨) وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ﴾ ثم يتحول إلى المنقول المباشر ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا

فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠) ﴾ ثم يعود الخطاب المعروض من جديد، فهو سبحانه وتعالى، الذي أراد أن تجري الأحداث على هذا النحو ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾ ثم المنقول المباشر ﴿ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (٢١) سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُم ﴾ ثم يأتي الختام بصيغة الخطاب المعروض الذي يؤطر القصة، ويؤكد الشعور بمعايشة الأحداث والحضور فيها ﴿ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤) وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦) ﴾.

نلاحظ سيطرة المسرود على القصة يتخلله المعروض- المنقول المباشر؛ وبذلك يظهر القائل وأفعاله في سير القصة، وكذلك تفرده بعلم تفاصيلها.

قصة صاحب الجنتين

نبدأ مع صيغة المعروض، وخطاب الحق تبارك وتعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جنتيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجنتيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ﴾ ثم بصيغة المنقول المباشر نستمع إلى الحوار بين الصاحبين ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) ﴾- (٤١) يتخلله- للمرة الأولى فيما مر بنا من قصص- صيغة الخطاب المعروض الذاتي، حيث يتحدث صاحب الجنتين إلى نفسه ﴿ وَدَخَلَ جنتهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦) ﴾ وتختم القصة بصيغة المسرود ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا

وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يا ليتني لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (٤٣) ﴾.

خصائص الصيغة السردية في القصص القرآني

دراستنا للصيغة السردية، تنتج عنها بعض الملاحظات. تتجلى في القصص القرآني من صيغ الخطاب: صيغة المنقول المباشر، التي تهيمن على القص، وتطبعه من ثم بطابع أمانة النقل للقول الوارد، وبهذه الصيغة ترد الوظائف المهمة في القصص، ففي قصص آدم عليه السلام، تأتي الوحدة السردية الأولى، وهي إخبار الله تعالى الملائكة بخلق آدم- دائما- في صيغة الخطاب المنقول المباشر، التي تحمل إلينا حوار الله والملائكة في هذا الشأن ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) ﴾ ودائما يأتي الإخبار عن الخلق بضمير المفرد الغائب، ودائما بصيغة واحدة لا تتغير ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ ﴾ في سور: ص (٧١) والحجر (٢٨) والبقرة

(٣٠). يلي هذه الوحدة الوحدة الثانية " سجود الملائكة وامتناع إبليس " التي تأتي بصيغة الخطاب المعروض، ودائما بضمير الجماعة الدال على العظمة... ودائما بالصيغة الواحدة التي لا تتغير ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاّ إِبْلِيسَ ﴾ في سور: طه (١١٦) والكهف (٥٠) والإسراء (٦١) والبقرة (٣٤) وتكتمل الوحدة تعرض لطاعة الملائكة، واستكبار إبليس، وامتناعه عن السجود، ومن ثم ذلك الحوار الطويل بينه وبين الله، الذي يأتي في صيغة المنقول المباشر، لأهميته الشديدة، لا في قصة آدم فحسب، وإنما، كما قلنا من قبل، في قصة الحياة بصفة عامة.

وفي قصص الأنبياء، نجد دائما وظيفتي الدعوة والتكذيب تأتيان بهذه الصيغة، صيغة الخطاب المنقول المباشر، بعد أن يتم التحضير لهما بصيغة الخطاب المعروض. ففي سورة الأعراف ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يا قوم اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يا قوم اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٦٥) ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يا قوم اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٧٣) ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يا قوم اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٨٥) الصيغة دائما واحدة، والدعوة أيضا واحدة. وهذا أيضا ما نجده في سورة

هود، وفي سورة الشعراء ﴿ كَذبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) ﴾ ﴿ كَذبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) ﴾ ﴿ كَذبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) ﴾ ﴿ كَذبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) ﴾ ﴿ كَذبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) ﴾ هذا الاتحاد في الصيغة الكلية للدعوة، بل في كلمات الدعوة، يجعلنا وكأننا أمام نبي واحد، ورسالة واحدة، وإنها لكذلك. وما يزال قول الله تعالى لدى هبوط آدم إلى الأرض ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) ﴾ [سورة البقرة]- يتردد ما دامت السماوات والأرض، وما زال الهدى يأتي من الله، فمن تبعه نجا وسلم.

الهوامش:

---

(١) Yves Reuter, introduction à l'analyse du roman, Paris, Dunod, 1996, P. 61 & Oswald Ducrot – Jean Ma:ie Schaeffer , Nouveau dictionnaire encyclopédique des science du langage, éd. du Seuil, coll. Points, 1995, P. 229

(٢) بيرسي لبوك، صنعة الرواية، ترجمة عبد الستار جواد، دار الرشيد للنشر، ط١، ١٩٨١، ص. ١٣٨– ١٣٩

(٣) الشكلانيون الروس، نظرية المنهج الشكلي. ترجمة إبراهيم الخطيب. مؤسسة الأبحاث العربية، ط١ ١٩٨٢، ص، ١٨٩ وانظر أيضا، جان ايف تادييه، الشكليون الروس، ترجمة قاسم المقداد، مجلة المعرفة، سوريا، السنة ٣٠، العدد ٣٣٢ مايو ١٩٩١، ص، ١٠١

(٤) لأن العمل الأدبي– كما يقول– ليس مصنوعا من كلمات وإنما من جمل تنتمي إلى سجلات مختلفة من سجلات الكلام، ووصف هذه السجلات يمثل أول مهمة على الناقد أن يقوم بها، حيث ينبغي أن نبدأ بمعرفة الوسائل اللسانية التي تتوفر للكاتب، ينبغي أن نعرف خصائص الكلام قبل إقحامه في العمل الأدبي، فذلك ضروري لمعرفة الخطاب الأدبي ذاته Tzvetan Todorov, Qu'est-ce que le structuralisme ? tome2, Poétique, Paris, Ed.du Seuil, Coll. Points, 1968, P. 39-40 وتودوروف، الأدب والدلالة، ترجمة محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري (سوريا) ط١، ١٩٩٦، ص ٨١

(٥) Tzvetan Todorov, Qu'est-ce que le structuralisme, P.51

(٦) Tzvetan Todorov, Les catégories du récit Littéraire , Communications n8, éd .du Seuil, coll. Points, 1981, P. 150

* « Nom donné aux différentes formes du verbe employées pour affirmer plus ou moins la chose dont il s'agit, et pour exprimer ... les différents points de vue auxquels on considère l'existence ou l'action »

(٧) Gérard Genette, Figures III, Paris, éd.du Seuil, coll.Poétique, 1972, P. 183

(٨) Ibid. P. 184

(٩) Ibid. P. 191-193

(١٠) **Gérard Genette, Figures III, P. 194 & Vincent Jouve, La poétique du roman, Paris, Sedes, 1999, P. 30-31**

(١١) شلوميت كنعان، التخييل القصصي. ص ١٦٠ـ ١٦٢، وهي تنقل، في حالات عرض الكلام، عن ماكهيل، مقياسا تصاعديا يتسلسل من الحكائي على نحو صرف إلى المحاكاتي على نحو صرف، هذه الحالات (السبع) هي على التوالي: التلخلص الحكائي/ التلخيص الحكائي الأقل صرفا / الصياغة الجديدة للمضمون غير المباشر/ الخطاب غير المباشر. محاكاتيا إلى درجة ما / الخطاب غير المباشر الحر/ الخطاب المباشر/ الخطاب المباشر الحر.



الرؤية السردية

في تعريفنا للسرد، قلنا: إنه الطريقة التي تُروى بها قصة ما، وهذه الطريقة في الرواية يمكن أن تأخذ أشكالا متعددة لا حصر لها، تبعا لموقع الراوي من الأحداث، أو لعلاقته بها، أو بالمروي له. وذلك لأن كل عمل حكائي يستلزم بالضرورة ثلاثة عناصر أساسية، هي: الراوي، والمروي له، والمروي. وموضوع الرؤية السردية يقوم أساسا على وضع الراوي في الحكي، على موقعه الذي يتخذه حيال ما يحكى، وموقفه من هذا المحكي.

منذ أفلاطون وتفريقه بين طريقتي نقل الكلام (الحكاية الخالصة والمحاكاة) ومن بعده أرسطو- الذي أثنى على هوميروس، ورأى فيه شاعرا فحلا؛ لأنه جعل محاكياته في شعره ذات طابع درامي، لا يتدخل الشاعر في أحداثها إلا قليلا تاركا العرض للشخصيات، فتأتي الوقائع حية[1]- بدأت الدعوة إلى مسرحة الحدث لا سرده.

ومع نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، تعود الدعوة إلى مسرحة الحدث للظهور من جديد، على يد الروائي هنري

جيمس، في محاولة للتجديد بمخالفة العرف الروائي السائد، الذي يعتمد على الراوي كلي المعرفة[٢]. ويسير بيرسي لوبوك على نهجه في كتابه " صنعة الرواية " الذي يفتح به باب دراسة الرؤية السردية بتمييزه- الذي سبقت الإشارة إليه- بين العرض (Showing) والإخبار (Telling) حيث في الأولى تقوم القصة بحكاية نفسها بنفسها، وفي الثانية يقوم بالإخبار راو عالم بكل شيء. وينحاز لوبوك إلى جانب الراوي الممسرح، المدمج في القصة.

وعند توماشفسكي نجد التمييز بين النمطين السرديين: السرد الموضوعي، والسرد الذاتي، حيث في الأولى يكون الكاتب مطلعا على كل شيء، حتى الأفكار السرية للشخصيات، أما في السرد الذاتي فإننا نتتبع الحكي من خلال عيني الراوي، متوفرين على تفسير لكل خبر، متى وكيف عرفه الراوي أو المستمع نفسه[٣].

بعد ذلك يأتي جون بويّون Jean Pouillon ليقدم أول دراسة منهجية بهذا الصدد، في كتابه المهم " الزمن والرواية Temps et roman " ١٩٤٦ الذي يحدد فيه ثلاثة أنماط من الرؤية: الرؤية مع، والرؤية من الخلف، والرؤية من الخارج[٤]، منطلقا في ذلك من علم النفس

وثيق العلاقة بالرواية، حيث يُعنَى كلاهما بكشف النفس البشرية في حالاتها المختلفة.

ويتبنى تودوروف تصنيف بويّون Pouillon للرؤيات ويسميها " مظاهر السرد " فيضعها إلى جانب زمن السرد وأنماطه، معتبرا إياها أصول تحليل الخطاب السردي. ويهتم بتوضيح معنى كلمة مظهر (Aspect) وأنه يستعملها بمعنى قريب من معناها الاشتقاقي وهو " الرؤية " أو " النظرة " وبكيفية أكثر تحديدا يقول: إن المظهر يعكس العلاقة بين ضمير الغائب (هو) في القصة، وبين ضمير المتكلم (أنا) في الخطاب، أي العلاقة بين الشخصية الروائية وبين السارد. ويستخدم تودوروف عبارة " مظاهر السرد " ليحيل بها على مختلف أنواع الإدراكات التي يمكن التعرف عليها داخل السرد. فنحن عندما نقرأ عملا أدبيا، لا نتلقى الأحداث التي يصفها تلقيا مباشرا، لأننا في الوقت ذاته ندرك- بشكل أو بآخر- الآثار الوجدانية المصاحبة لها لدى الذي يحكيها°. وهذا الإدراك الداخلي يتخذ أشكالا ثلاثة، هي التي اقترحها جون بويّون Jean Pouillon تصنيفا لمظاهر السرد:

أ- السارد > الشخصية الروائية (الرؤية من الخلف: La vision par derrière) وفي هذه الحالة يكون السارد أكثر معرفة من

الشخصية الروائية، وهو لا يعنى بأن يشرح لنا كيفية اكتسابه هذه المعرفة، فليس ثم ستار يحجب عنه سر شيء، فهو يخترق الجدران، ويرى ما يدور برأس بطله... وهذا الشكل هو المستعمل في السرد الكلاسيكي في أغلب الأحوال. ولهذا الشكل درجات متفاوتة، فقد يتجلى تفوق السارد في المعرفة بالرغبات السرية (المجهولة) لإحدى شخصياته، وربما يتجلى في معرفة أفكار عدة شخصيات في وقت واحد- وهذا ما لا يستطيعه أي منها- أو ربما يتجلى ببساطة في سرد أحداث لا تدركها شخصية واحدة بمفردها.

ب- السارد = الشخصية الروائية (الرؤية مع: **La vision avec**) وهذا الشكل منتشر في الأدب، وبخاصة الأدب الحديث، وفيه يتساوى السارد والشخصية الروائية في المعرفة، فهولا يستطيع أن يقدم لنا تفسيراً للأحداث قبل أن تتوصل إليه الشخصية، وهنا أيضا يمكننا الكشف عن كثير من التمييزات، كأن يتم السرد بضمير المتكلم، أو بضمير الغائب مع الاحتفاظ دائما بالرؤية التي تكونها الشخصية نفسها عن الأحداث.

جـ- السارد < الشخصية الروائية (الرؤية من الخارج: **La vision du dehors**) والراوي هنا يعرف أقل مما تعرف أي من

شخصيات الرواية، إنه يستطيع أن يصف لنا ما يمكن أن يرى، أو أن يسمع، لكنه لا ينفذ إلى أي ضمير. وبدهي أن هذه النزعة الحسية الخالصة موجودة مظهرا من مظاهر الكتابة. وهي أقل بكثير من المظهرين الآخرين، والاستعمال المنظم لهذا المظهر لم يتم إلا في القرن العشرين.

أما جنت Genette فهو يتحدث عن المنظور ضمن الصيغة السردية، وكأنه ليس مظهرا مستقلا من مظاهر السرد، كما رأينا عند تودوروف Todorov مثلا، بل يتحدث عنه إلى جانب المسافة باعتبارهما الشكلين الأساسيين للصيغة، مما أوقعه في بعض المآخذ[٦]. ومع ذلك فقد قدم لنا مشروعا جديدا لدراسة المنظور، حيث بدأ، فيما يقول، بقراءة كتابات السابقين حول ما يسمى، على سبيل الاستعارة، المنظور السردي، فرأى أن معظم الأعمال النظرية التي تتناول هذا الموضوع تعاني من خلط شديد بين الصيغة والصوت، أي بين السؤال: من الشخصية التي توجه " وجهة نظرها " المنظور السردي ؟ أي من يرى ؟ والسؤال: من يتكلم ؟ ومن ثم يتبنى مصطلح " تبئير: Focalisation " حيث يرى أنه أكثر تجريدا، وبذلك يتحاشى المضمون البصري، شديد الخصوصية،

الذي تنطوي عليه المصطلحات الأخرى مثل: رؤية، وحقل، ووجهة نظر[7].

وهكذا يطلق على النمط الأول، الذي تمثله الحكاية الكلاسيكية، اسما جديدا هو الحكاية غير المبأرة (non-focalisé) أو ذات التبئير الصفر (focalisation zéro) والنمط الثاني الحكاية ذات التبئير الداخلي (interne) سواء أكان ثابتا- كما في رواية السفراء، حيث يمر كل شيء من خلال ستريذر- أم متغيرا كما في رواية " مدام بوفاري " حيث يتم التبئير من خلال شارل، ثم إمّا، وبعدها شارل من جديد... أم متعددا كما في الروايات التراسلية، أو رواية الخطابات المتبادلة (Les romans par lettres) حيث يمكن للحدث الواحد أن يقدم مرات كثيرة، من خلال وجهة نظر عدة شخصيات متراسلة. وأخيرا النمط الثالث، هو الحكاية ذات التبئير الخارجي (externe) التي يتصرف فيها البطل أمامنا دون أن يسمح لنا بمعرفة أفكاره أو عواطفه[8].

وتستمر دراسة الرؤية السردية، في هذا الفلك، متراوحة بين تصور بويّون Pouillon وتصور جنت Genette[9] أو بين الرؤيات والتبئير.

ونحن من جانبنا نحاول- مستضيئين بجنت Genette وحديثه حول التبئير، وبشكل أساسي بجون بويّون Jean Pouillon وتصنيفه للرؤية السردية، الذي تبناه تودوروف Todorov وحاول تطبيقه على رواية العلاقات الخطيرة (Les liaisons dangereuses) لـ "لاكلو"- نحاول وضع تصور يتناسب مع القصة القرآنية، في وضعها القداسي.

ولعل الحديث عن الرؤية يعيدنا إلى ما رأينا من تعدد الصيغ للحكاية الواحدة، تبعا لاختلاف السياق الذي وردت فيه. ففي قصص آدم عليه السلام، هناك قصة واحدة، غير أنها تأخذ في كل مرة شكلاً جديدا يجعلها تبدو حكاية جديدة، وإن اتفقت أحداثها وشخصياتها. والسبب هو اختلاف السياق، الذي يغير موقع الرؤية. فمن موقع يتم التركيز على قضية الخلافة، لأن القصة معروضة في سياق يجعل من الإنسان سيد الأرض ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [سورة البقرة: ٢٩] فليتصرف فيها كيف شاء بما لا يحيد به عن طريق هدى الله. ومن هذا الموقع الذي يمثله السياق تُرى القصة من هذه الناحية، ناحية الاستخلاف.

ومن موقع ثان، تُرى القصة هي قصة العداوة بين إبليس وآدم، لتركيزها على إبراز هذا الجانب، فهي معروضة في سياق الموقف من

هدى الله- في سورة الأعراف- حيث تتوالى رسل الله حاملة للناس الهدى، لكنهم يأنفون، ويتعقبون خطى الشيطان، مؤثرين اتباعه- وهو عدوهم الأول- على اتباع الهدى.

ومن موقع ثالث، يتم التركيز على الفوارق بين طبائع كل من الإنسان والجان: الأول مخلوق من طين، وفيه نفخة من روح الله، والثاني مخلوق من النار....

وهكذا يستمر تأثير السياق في القصة التي يستحضرها، على نحو ما رأينا في فصل " القصة والسرد " وهذا السياق، فيما نحن بصدده، يمثل زاوية نرى منها جزءا من القصة يتم التركيز عليه، ويتغير هذا الجزء بتغير زاوية الرؤية، التي يمثلها السياق. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذا الموقع، يتحدد بالضمير الذي تُقدم القصة من خلاله، هل هو متكلم: حاضر فيها، أو غائب عنها[10].

ومن خلال استقراء أشكال الرؤية في القصص القرآني، أمكننا ملاحظة نمطين أساسيين للرؤية في القصة القرآنية:

أولهما- نطلق عليه الرؤية الذاتية[11]، بمعنى أن يكون الضمير الذي يتكفل بحكي القصة حاضرا فيها (ضمير الجماعة الدال على

العظمة) كما في قصص آدم عليه السلام من سورة الأعراف ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ (١١) وفي قصص سليمان من سورة ص ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ ﴾(٣٠).

والآخر- نطلق عليه الرؤية المحايدة، وفيه تقوم القصة بحكي نفسها، عن طريق الحوار بين شخصيات السرد. وتبدأ بفعل القول (قال) بضمير الغائب ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ ﴾ [سورة البقرة: ٣٠] و[وسورة الحجر: ٢٨] ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ ﴾ [آل عمران: ٤٢] ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ ﴾ [سورة الكهف: ٦٠].

وأمكننا كذلك ملاحظة نمطين فرعيين، يأتيان تنويعا على النمطين السابقين:

الأول- هو الرؤية الذاتية المحايدة، وتكون مسبوقة بفعل القول ملحقا بنا الفاعلين ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ ﴾ [سورة البقرة: ٣٤] و[سورة الإسراء: ٦١] و [سورة الكهف: ٥٠] و [سورة طه:١١٦] ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ [سورة البقرة: ٣٨] ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا ﴾ [سورة هود: ٤٠] ﴿ قُلْنَا يا ذا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) ﴾ [سورة

الكهف] ﴿ قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى (٦٨) ﴾ [سورة طه]؛ إذ يبدو فيها المتكلم على مسافة مما ينقل من أقوال.

والآخر- الرؤية المحايدة الذاتية، وتأتي مع نقل محتوى القول، وذلك غالبا ما يُسبق بما في معنى فعل القول، كما في قصص موسى عليه السلام من سورة الأعراف ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) ﴾ ومن سورة القصص ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) ﴾ وفي قصة يوسف ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ(١٥) ﴾.

ومن ناحية أخرى، فإذا كان المتكلم حاضرا في القصة، فهي تُروى من الداخل بمنظور داخلي، وإذا لم يكن حاضرا فيها، وقامت بينه وبينها مسافة، فهي تُروى من الخارج، والمنظور هنا يحتمل الوجهين معا: فهو خارجي إذا ظلت المسافة قائمة بين المتكلم وما يحكي، أو أنه داخلي إذا قامت بالحكي شخصيات السرد.

قصص آدم عليه السلام

١- في سورة ص

تهيمن على الحكي هنا الرؤية المحايدة، حيث ينقل المولى عز وجل قصة اختصام الملإ الأعلى، إلى نبيه محمد ﷺ إثباتا للوحي، الذي لولاه ما علم محمد من أمرها شيئا ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٨٠) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥) ﴾ ونلاحظ هنا استخدام ضمير الغائب ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾ مع أن الله تعالى يخاطب نبيه خطابا مباشرا ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ

(٦٨) مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلإِ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلاّ أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٧٠) ﴾ وهذا الاستخدام لضمير الغائب نجده دائما مع قصة الخلق الأول، كما في سورة الحجر ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) ﴾ وسورة البقرة ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) ﴾ وكأنه سبحانه وتعالى يشير في هذه الأماكن إلى أن محمدا ذو مكانة خاصة، من خلال إضافة رب إلى كاف الخطاب في (ربك) فالله سيخلق بشرا من طين، أو من صلصال من حمإ مسنون، قد يفسد في الأرض ويسفك الدماء، لكن محمدا في كل ذلك له مكان خاص؛ هو مربوب الخالق سبحانه. ومن خلال تلك الرؤية المحايدة يتم نقل أصوات شخصيات السرد، في حيادية تمنح الثقة في مصداقية الوحي، خاصة وأنها نزلت على كفار مكة، إثباتا لنبوة محمد ﷺ.

ومع الرؤية المحايدة، كما نرى، يكون الموقع الذي تُحكى منه القصة موقعا خارجيا، ولكن الصوت الذي تُعرض الأحداث من خلاله، هو صوت شخصيات الحكي، فالمنظور السردي داخلي، هو منظور

الشخصيات. ومن ثم يجتمع الموقع الخارجي، والمنظور الداخلي لتتكشف الأحداث من الخارج، ومن الداخل.

٢- في سورة الأعراف

هاهنا نبدأ الحكي مع الرؤية الذاتية، حيث تعرض الذات الإلهية لما كان من أحداث الخلق والتصوير ثم سجود الملائكة لآدم، طاعة لأمر ربهم، وامتناع إبليس عن ذلك استكبارا، ويتم الحكي بضمير العظمة ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاّ إبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١) ﴾ ودائما يأتي الأمر بالسجود لآدم محكيا بالضمير نفسه، الجمع الدال على العظمة المستحقة لله تعالى، نرى هذا في سورة البقرة ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاّ إبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) ﴾ وفي سورة الإسراء ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاّ إبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) ﴾ وفي سورة الكهف ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاّ إبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ.... (٥٠) وفي سورة طه ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاّ إبْلِيسَ أَبَى (١١٦) ﴾ وهي كل المواضع في القرآن الكريم، فيها يأمر الله تعالى الملائكة أن يسجدوا لآدم، وهو أمر عظيم، يحتاج إلى أن يُقرن بما يدل على

عظمته سبحانه، فكان ضمير الجماعة. وهاهنا نرى الاتصال المباشر للضمير بالفعل ﴿ خَلَقْنَاكُمْ ﴾ ﴿ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ ﴿ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا ﴾ مؤشرا على ذاتية الرؤية، وجوانية المنظور والموقع.

ومن ثم نتحول إلى الرؤية المحايدة، مع نقل نص الحوار بين الشخصيات بما يسهم في إضاءة جانب مهم في القصة، هو جانب العداوة بين إبليس وآدم، ويسهم أيضا في الكشف عن جوانب في شخصية إبليس: الاستكبار، والعصيان، وفي شخصية آدم: الضعف، وقلة العزيمة ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨) وَيَا ءَادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ

(٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٢) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (٢٥) ﴾.

ثم تعود الرؤية الذاتية مرة أخرى؛ تؤطر الحكي، وتركز من جديد على عداوة إبليس لآدم وذريته ﴿ يَا بَنِي ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦) يَا بَنِي ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٧) ﴾.

٣- في سورة طه

يتم الحكي هنا من خلال الرؤية الذاتية، وبضمير الجماعة الذي يعرض ما كان من نسيان آدم عهد الله إليه، بمخالفة إبليس ﴿ وَلَقَدْ

عَهِدْنَا إِلَى ءَادَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥) ﴾ وبالضمير نفسه نتحول إلى الرؤية الذاتية المحايدة، حيث يقوم المولى عز وجل بنقل خطابه للملائكة، ثم لآدم ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ أَبَى (١١٦) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلاّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى (١١٩) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى (١٢٠) فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾.

ثم نتحول إلى الرؤية المحايدة، مع الانتقال من التكلم إلى الغيبة، إشعارا بخصوصية العلاقة بين آدم وربه- على نحو ما مر مع محمد ﷺ- وعرضا لتجدد العداوة الدائم، بين آدم وإبليس ﴿ وَعَصَى ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى (١٢٣) ﴾.

٤- في سورة الإسراء

نبدأ الحكي مع الرؤية الذاتية المحايدة ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) ﴾ ومن ثم تأخذ الرؤية في التحول من الذاتية المحايدة إلى المحايدة، مع الخطاب المنقول المباشر، وحوار شخصيات القص، الذي يلقي الضوء على مشاعر الشيطان تجاه ذرية آدم، وسبيله لإطفاء مشاعر الحقد المضطرمة في صدره ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إلاَّ قَلِيلا (٦٢) قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (٦٣) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَولادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إلاَّ غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفي بِرَبِّكَ وَكِيلا (٦٥) ﴾ وفي الآية الأخيرة نجد قوله تعالى ﴿ وَكَفي بِرَبِّكَ وَكِيلا ﴾ الذي لا يتعارض مع ما قلناه من قبل عن قرب المربوب من ربه، ويشير الألوسي إلى هذا بقوله " والقلب يميل إلى عدم كونه خطابا للشيطان وإن كان في السابق له "[١٢].

٥- في سورة الحجر

نبدأ الحكي مع الرؤية الذاتية، وضمير العظمة الذي يناسب السياق، حيث الإخبار عن الخلق، والتصرف في مادته، مما لا يقدر عليه غير الخالق سبحانه ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٧) ﴾ وتبدأ من ثم أصوات الشخصيات في الظهور، منظمة من خلال الرؤية المحايدة، تركيزا على سبب رفض إبليس السجود لآدم، وعداوته له، غير أنه لا سلطان له إلا على الضالين الغاوين، أما عباد الله المخلصين، فهم بمنأى عن غوايته، وفي حفظ الله وكنفه ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ

الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (٤٤) ﴾.

ثم تعود الرؤية الذاتية لتؤطر الحكي، وتؤكد على عظم جزاء أعداء الشيطان- عباد الله المخلصين: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ءَامِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٧) لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨) ﴾.

٦- في سورة البقرة

نبدأ الحكي مع الرؤية المحايدة، ونقل حوار الله والملائكة، الذي يتم التركيز فيه على الخليفة المنتظر للأرض، وإعداده من قبل الخالق عز وجل ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ ءَادَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ

أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) ﴾.

ثم تحل الرؤية الذاتية المحايدة محل الرؤية المحايدة، مع الأمر بالسجود، والهبوط إلى الأرض ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩) ﴾ تتخللها الرؤية المحايدة في لمحة سريعة ﴿ فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) ﴾ تلقي الضوء على علاقة القرب بين آدم وربه. وهنا يتجلى المنظور السردي خارجيا ذا عمق داخلي، حيث إن الحكي يتم من مسافة يرجحها وجود فعل القول، والذي ينقل القول هو قائله سبحانه وتعالى.

قصص نوح عليه السلام

١- في سورة القمر

من خلال الرؤية الذاتية يتم سرد القصة، تركيزا على إظهار العذاب الذي وقع بقوم نوح جزاء تكذيبهم ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٤) ﴾ ونحن هنا أمام انتصار القدرة المطلقة للحق الذي جاء به نوح، وكذب به قومه حتى النهاية، وإننا مع بدايات الدعوة المحمدية، ومن ثم مع التحذير من الإسراع بتكذيب صاحب الدعوة.

٢- في سورة الأعراف

مع الرؤية الذاتية نفتتح الحكي ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ﴾ ومن ثم نتحول عنها إلى الرؤية المحايدة، حيث نستمع إلى أصوات الشخصيات في حوارهم، فتُعرض وظيفة الدعوة من منظور داخلي تتقابل

فيه المشاعر والأفكار، بين نوح الذي يؤدي ما أرسل به هدى من ربه، إلى قومه الذين تحجرت عقولهم وقلوبهم أن يؤمنوا بما جاءهم به نبيهم ﴿ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٦٢) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣) ﴾.

ثم نختتم الحكي مرة أخرى مع الرؤية الذاتية التي تؤطر الحكاية، بداية ونهاية ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤) ﴾ تلك الرؤية التي يوجهها ضمير العظمة، الذي يتكفل دائما بأفعال القدرة المتصرفة.

٣- في سورة الشعراء

نفتتح الحكي مع الرؤية المحايدة، وأصوات شخصيات السرد التي يُعرض من خلالها تكذيب قوم نوح واستكبارهم، مع حرصه الشديد على إيمانهم برسالته ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ

وَأَطِيعُونِ (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١١٠) قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ (١١١) قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ (١١٥) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١٦) قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨) ﴾.

ومن ثم تختم القصة مع الرؤية الذاتية، التي تتكفل دائما بالأحداث العظيمة، كحدث الإهلاك والإنجاء هنا ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٢٢) ﴾.

٤- في سورة يونس

منذ البداية، وحتى نهاية الحكي، نحن مع الرؤية الذاتية، وقصة نبي من أنبياء الله، عليهم السلام، وما كان من قومه تجاهه، والرؤية الذاتية هنا لأمر عظيم كذلك. فالأمر إلى محمد ﷺ أن يخبر قومه، الشاكين في القرآن ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ

أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (٢) ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ (٣٨)- أن يخبرهم خبر نوح مع قومه ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ (٧١) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ إن قوم نوح عليه السلام كقوم محمد ﷺ، كلاهما مكذب بالنذير ومستعجل للعذاب، ولكن أمر الإنذار جد، وعاقبة المنذرين المكذبين رهيبة.

٥- في سورة هود

نبدأ الحكي مع الرؤية الذاتية، وبضمير العظمة يقص الله تعالى على محمد ﷺ حكاية نوح مع قومه، وتفصيل دعوته لهم، ورفقه بهم، لعلهم يهتدون ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٥) أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلاّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦) ﴾.... ثم يعود إلى محمد ﷺ مرة أخرى، ومن ثم يتم عليه بقية الحكاية: اليأس من إيمان القوم، وصنع الفلك، وانتظار أمر الله ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ (٣٥) وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ

لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاّ مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٣٧).... (٤٨) ﴾.

نجد في بداية السورة ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٢) ﴾.

ونجد في ختامها ﴿ وَكُلاّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠) ﴾ ومن هنا فقد جاء قصص السورة تثبيتا لفؤاد النبي محمد ﷺ؛ لئلا يسرع الضيق، من عدم إيمان قومه به وبرسالته، إلى صدره، فهكذا كان حال الأنبياء من قبل مع أقوامهم. وإن قوم محمد ﷺ، كقوم نوح، في المسارعة إلى إيذاء نبيهم، وإن الصبر عليهم لهو سبيل النصر.

٦- في سورة نوح

نبدأ الحكي مع الرؤية الذاتية، التي تتحول إلى رؤية محايدة مع نقل خطاب الشخصية الموجودة في القصة، نوح عليه السلام، وما كان بينه وبين قومه بكل تفاصيل الدعوة ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ

قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧).... (٢٨) إنها عرض لموقف قوم نوح من نبيهم ودعوته، وهي تحذير لأمة محمد ﷺ أن يكونوا مثل قوم نوح فيأخذهم عذاب عظيم.

قصص هود عليه السلام

١- في سورة القمر

يتم الحكي من خلال الرؤية الذاتية، تركيزا على العذاب الذي حاق بمن كذبوا دعوة هود عليه السلام ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩)

تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ(٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٢١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذكرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٢٢) ﴾.

٢- في سورة الأعراف

من خلال الرؤية المحايدة، حيث تُنقل أصوات شخصيات السرد، يتم حكي القصة بكاملها، وتؤطرها الرؤية الذاتية، بداية ونهاية ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ وهو الصوت الذي تصدر قصص سورة الأعراف، بدءًا بنبي الله نوح عليه السلام ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ (٥٩) ﴾ وبعد ذلك تتولى أصوات الشخصيات عرض الأحداث ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) ﴾... وتأتي النهاية مع الرؤية الذاتية، التي تنفرد دائما بوظيفة الإنجاء، والإهلاك ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٧٢) ﴾.

٣- في سورة الشعراء

نبدأ الحكي مع الرؤية المحايدة، وعرض تفاصيل الدعوة، من خلال الشخصيات، مع التركيز على إظهار حرص الرسول على هداية

قومه، متقربا إليهم بكل ما يمكن أن يلين قلوبهم ﴿ كَذَبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥) ﴾ بينما هم قساة غلاظ، لا تتأثر قلوبهم، ولا تلين ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذبِينَ (١٣٨) ﴾ ومن ثم كانت النتيجة، المعروضة من خلال الرؤية الذاتية- الإهلاك، والإنجاء ﴿ فَكَذبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) ﴾.

٤- في سورة هود

نبدأ الحكي مع الرؤية الذاتية، واستئناف عرض قصص الأنبياء مع أقوامهم، على النبي محمد ﷺ ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ ومن ثم تعوضها الرؤية المحايدة بقية القصة، لتُعرض الأحداث من الداخل

بأصوات الشخصيات ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ مُفْتَرُونَ (٥٠) يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ (٥١) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٥٢) قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي ءَالِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣).... (٥٧) ﴾ ومن ثم تعود الرؤية الذاتية تؤطر الحكي، وتشير إلى وقوع العذاب بقوم هود، دون النص عليه ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) ﴾.

٥- في سورة الأحقاف

هاهنا يتم تنظيم الحكي عن طريق الرؤية المحايدة الذاتية في عرض دعوة هود قومه، ثم تؤول إلى الرؤية المحايدة، مع عرض ثباتهم على التكذيب، ومن ثم تعود الرؤية المحايدة الذاتية من جديد تركيزا على تحديد العذاب الذي وقع بهم ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٢) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ

وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٣) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (٢٥) وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٢٦) ﴾.

قصص صالح عليه السلام

١- في سورة الأعراف

نبدأ الحكي مع الرؤية الذاتية، التي تعوضها الرؤية المحايدة، فيُترك الحديث لشخصيات السرد، تعرض من خلال منظورها الداخلي ما كان من دعوة صالح قومه إلى عبادة الله وتذكر نعمه، وما جاءهم به من آية بينة شاهدة على صدقه، وما كان من تكذيب منهم أدى إلى معاقبتهم وإهلاكهم ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ

إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا ءَالاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤) قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٧٦) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩) ﴾.

٢- في سورة الشعراء

نبدأ الحكي مع الرؤية المحايدة، ونقل أصوات السرد، تركيزاً على تكذيب ثمود، مع حرص صالح على أن يؤمنوا برسالته ﴿ **كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٤٤)**.... **فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٥٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ**

الرَّحِيمُ (١٥٩) ﴾ ويلاحظ هنا أن الحكي مؤطر بالرؤية المحايدة، ومكتف بقوله تعالى ﴿ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ﴾ عن وصف ما حاق بهم من ألوانه.

٣- في سورة النمل

نفتتح الحكي مع الرؤية الذاتية، وعرض حال ثمود، وانقسامهم، بعد أن أُرسل إليهم صالح ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥) ﴾ ثم تعوضها الرؤية المحايدة، فنستمع إلى أصوات الشخصيات في الحكاية، ونرى إلى أي مدى وصل العداء بينهم ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٦) قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (٤٧) ﴾ وتعود الرؤية الذاتية لتؤطر الحكي، وتركز على إظهار قدرة الخالق المطلقة ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ (٤٨) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٤٩) وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ

خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣) ﴾.

٤- في سورة هود

يؤطر الحكي بالرؤية الذاتية، ومن خلال الرؤية المحايدة تعرض الأحداث ونسمع أصوات الشخصيات ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (٦١) قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٦٢).... (٦٨) ﴾.

قصص لوط عليه السلام

١- في سورة القمر

من خلال الرؤية الذاتية، يتم التركيز على ما حاق بقوم لوط من عذاب جزاء تكذيبهم، وتماديهم في غيهم ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣)

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلاَّ ءَالَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٤٠) ﴾.

٢- في سورة الأعراف

نبدأ الحكي مع الرؤية المحايدة، ودعوة لوط قومه إلى أن يتركوا ما هم عليه من إسراف، وهم من خلال منظور مقلوب يريدون الخلاص منه ومن آله، لأنهم، فيما يرون، أنقياء منزهون عما يتردى فيه القوم من فاحشة ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) ﴾ ومن ثم، ومع الرؤية الذاتية، تتكفل الذات الإلهية بإنجاء لوط وأهله، وإهلاك قومه وامرأته ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤) ﴾.

٣- في سورة الشعراء

نفتتح الحكي مع الرؤية المحايدة، وتركيز الحوار على تكذيب قوم لوط لرسولهم مع ما يبذله من جهد في سبيل هدايتهم ﴿ كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُون (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَتَأْتُونَ الذكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (١٦٨) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩) ﴾ ومن خلال الرؤية الذاتية يأتي العذاب الواقع بهؤلاء المكذبين الضالين ﴿ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلاّ عَجُوزًا فِي الْغَابرِينَ (١٧١) ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٧٥) ﴾.

٤- في سورة هود

نفتتح هذه الوحدة بالرؤية الذاتية المحايدة، ونقل أصوات الشخصيات، التي لا تعلن عن نفسها من أول الأمر، تركيزا على إظهار

حال لوط عند مجيء الرسل إليه، وضيقه بهم، لمعرفته بأمر قومه، وما سيكون منهم تجاه ضيفانه ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ﴾ ومن ثم تنفرد الرؤية الذاتية بعرض أحداث النهاية ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (٨٢) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣) ﴾.

٥- في سورة الحجر

نبدأ الحكي مع الرؤية المحايدة، ونقل أصوات الشخصيات، التي تعلن عن نفسها من أول الأمر، وعن قضاء الأمر بهلاك قوم لوط ﴿ فَلَمَّا جَاءَ ءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٦٢) قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٦٤) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (٦٦) وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (٦٧) قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ (٦٨) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ (٦٩) قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (٧٠) قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٧١) ﴾ ومن ثم تتحول

الرؤية إلى الذاتية ليُعرض من خلالها ما نزل بقوم لوط من عذاب ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٧٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ (٧٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (٧٧) ﴾.

قصص شعيب عليه السلام

١- في سورة الأعراف

نفتتح الحكي مع الرؤية المحايدة، ونقل أصوات شخصيات السرد، تركيزا على دعوة شعيب عليه السلام، وتكذيب قومه ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٥) ﴾ وتستمر الرؤية المحايدة حتى نهاية القصة (٩٣).

٢- في سورة الشعراء

يفتتح الحكي بالرؤية المحايدة، تركيزا على تكذيب أصحاب الأيكة مع حرص شعيب على هدايتهم ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٧٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠) ﴾ وتستمر الرؤية المحايدة كذلك حتى نهاية القصة (١٨٩).

٣- في سورة هود

نبدأ الحكي مع الرؤية الذاتية، والحق تبارك وتعالى يقص على محمد ﷺ قصص الأنبياء مع أقوامهم، تثبيتا لقلبه ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ ومن هنا تبدأ الرؤية المحايدة، مع نقل حوار الشخصيات ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ (٨٤) ﴾ وتستمر إلى أن تأتي الخاتمة مع الرؤية الذاتية ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ(٩٤) ﴾.

قصص موسى عليه السلام

١- في سورة الأعراف

نبدأ الحكي مع الرؤية الذاتية، ومقدمة القصة ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلإِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ(١٠٣) ﴾ التي تعوضها الرؤية المحايدة، مع نقل حوار موسى وفرعون ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٠٥) قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٦) ﴾ وتستمر الرؤية المحايدة، مهيمنة، مع عرض تكذيب فرعون وقومه ﴿ قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢) ﴾.... (١٢٧) تتخللها الرؤية الذاتية ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) ﴾ لعرض الأحداث المعجزة، التي يعجز البشر عن الإتيان بها، ومن ثم تعود الرؤية المحايدة ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ

عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) ﴾ وتتجدد الرؤية الذاتية مع تجدد الأحداث التي تتطلب قوة متصرفة ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذكَّرُونَ (١٣٠) ﴾.... ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ وبدءا من هنا تتشارك الرؤيتان في تقديم أحداث انحراف فطرة بني إسرائيل، فتأتي الرؤية متداخلة، مما يساعد في التوجيه النفسي لتلقي هذه الأحداث ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) ﴾ (١٦٨).

٢- في سورة طه

نبدأ الحكي مع الرؤية المحايدة ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (٩) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَعَلِّي ءَاتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ

لِمَا يُوحَى (١٣) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (١٥) ﴾ وتستمر الرؤية المحايدة في اختيار موسى للرسالة، وفي تذكيره بنعم الله عليه، وفي إرسال موسى إلى فرعون، وكذلك في استكبار فرعون وتكذيبه، وحتى مع تغير الأصوات تظل الرؤية ثابتة ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠) ﴾ وعندما يأتي الحديث عن الخلق، والإماتة، والبعث فإن الرؤية تتحول إلى الذاتية ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (٥٣) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُولِي النُّهَى (٥٤) مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (٥٥) وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَبَ وَأَبَى (٥٦) ﴾ ثم تعود الرؤية المحايدة من جديد لتنقل الحوار بين فرعون وموسى، وبين موسى والسحرة، وبين السحرة وأنفسهم، وبينهم وبين فرعون (٥٧-٧٦) ثم يأتي إهلاك فرعون وجنوده معروضا من موقع خارجي، ومنظور داخلي (رؤية محايدة ذاتية) ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لا تَخَافُ دَرَكًا وَلا تَخْشَى (٧٧) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (٧٨) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ

قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (٧٩) ﴾ ومن هنا تبدأ الرؤيتان في التداخل، مع إنجاء بني إسرائيل، ومع عرض التوائهم وضلالهم (٨٠- ٩٨).

٣- في سورة الشعراء

نبدأ الحكي مع الرؤية المحايدة، حيث ينقل الحق تبارك وتعالى إلى محمد ﷺ قصة موسى مع القوم الظالمين، قوم فرعون، من خلال نقل الحوار بين موسى وربه ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ (١١) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (١٢) ﴾.... (١٧) وبين موسى وفرعون ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠) ﴾.... (٣٣) وبين فرعون وقومه ﴿ قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٣٦) ﴾.... (٤٠) وبين فرعون والسحرة ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٢) ﴾.... (٥١) وتأتي الرؤية المحايدة الذاتية لتنقل خاتمة قصة فرعون ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٥٢) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ

(٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (٥٦) ﴾ ومن خلال الرؤية الذاتية يتم تقديم النهاية الرهيبة لفرعون وقومه ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) ﴾ ومن ثم تتداخل الرؤيتان الذاتية، والمحايدة لنقل أحداث إهلاك فرعون وقومه، وتكريم بني إسرائيل ﴿ فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (٦٠) فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ (٦٤) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ(٦٦) ﴾.

٤- في سورة القصص

نبدأ الحكي مع الرؤية الذاتية، وموجز للقصة يقدم بضمير الجماعة ﴿ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦) ﴾ ومن ثم ننتقل إلى الرؤية المحايدة الذاتية، وعرض

جانب من طفولة موسى، منذ إلقائه في اليم حتى إعادته إلى أمه ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ ﴾.... (١٣) ومن ثم ننتقل إلى مرحلة أخرى من حياة موسى مع الرؤية الذاتية، واستمرار تدخل الذات الإلهية عناية بموسى ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤) ﴾ وبعدها يسير الحكي من خلال الرؤية المحايدة، ليعرض علينا تلك المرحلة الفاصلة، الانتقال من الطفولة إلى النبوة، وما فيها من الخروج إلى مدين (١٥- ٢٩) وتستمر الرؤية المحايدة في نقل اللقاء بين موسى وربه في الوادي المقدس، ذلك اللقاء الذي ينتهي به رسولا من الله رب العالمين إلى فرعون وملإه ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾..... (٣٥) وتستمر الرؤية المحايدة كذلك في نقل الحوار بين موسى وفرعون (٣٦- ٣٨) إلى أن تأتي الخاتمة المتمثلة في إهلاك فرعون وجنوده، من خلال الرؤية الذاتية، التي تتكفل دائما بعرض الأمور العظيمة ﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ

فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنْصَرُونَ (٤١) وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ (٤٢) ﴾.

قصة موسى والعبد الصالح

يفتتح الحكي مع الرؤية المحايدة، ونقل أصوات الشخصيات. فنحن نبدأ الرحلة إلى مجمع البحرين مع صوت موسى وفتاه منقولا من خلال تقنية الرؤية المحايدة. ذات الموقع الخارجي ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) ﴾... ويستمر السرد على هذا إلى أن تظهر الرؤية الذاتية ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) ﴾ ومن خلال خصوصية هذا العلم، وتلك الرحمة ستكون أفعال العبد الصالح غير المبررة لموسى ظاهريا ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي

لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٧٦) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ ولهذا نجد العبد الصالح لا ينسب شيئا من أفعاله لنفسه ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢) ﴾ متدرجا بالضمير " فَأَرَدْتُ-

فَأَرَدْنَا- فَأَرَادَ رَبُّكَ ": ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ إلى ﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا ﴾ وأخيرا ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ إنها إرادة الله الذي وهبه من علم الغيب ما رأى به نتائج أفعاله حين فعلها.

قصة يوسف عليه السلام

تبدأ القصة بالرؤية الذاتية، حيث يخبر الله عز وجل نبيه محمدا ﷺ أن القرآن يتضمن أحسن القصص، التي لم يكن يعلم شيئا منها من قبل أن يُنزّل عليه ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣) ﴾ هذه الرؤية تتوزع بعد ذلك في أثناء القصة لتؤدي دورا مهما فيها ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٥) ﴾ ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢١) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢) ﴾ ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) ﴾ ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ

يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) ﴾ ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) ﴾ ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٢) ﴾ إنها كل الأحداث الفاصلة في مجرى القصة، التي تتحكم فيها قدرة قاهرة، متصرفة كيف شاءت...- كلها تعرض من خلال الرؤية الذاتية ، وكلها بضمير الجمع الدال على العظمة.

إننا من أول السرد مع المنظور الداخلي، سواء من خلال الرؤية الذاتية، أو مع الرؤية المحايدة، التي تعرض القصة من منظور شخصيات السرد، اللهم إلا من بعض تعليقات سريعة تظل محتفظة بموقع خارجي، كما في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِلسَّائِلِينَ(٧) ﴾ ﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) ﴾ ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠) ﴾ ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤) ثُمَّ بَدَا

لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (٣٥) ﴾ ﴿ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢) ﴾ ﴿ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧) ﴾ ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٥٨) ﴾..... وكلها تمثل خلفية هامة يستند إليها السرد. وأهميتها ترجع إلى طبيعة المنظور الخارجي فيها، حيث تقدم الأحداث من الخارج، فيتم الإحاطة بجوانب كثيرة، من خلال التعليقات السريعة الموجزة.

وقولنا: إن الرؤية المحايدة تؤول إلى الرؤية الذاتية، يعني أن صاحب الرؤيتين واحد، وتغير الرؤية إن هو إلا إحدى تقنيات الأداء السردي في القصص القرآني؛ ولذلك نلاحظ اتفاق الصوتين في بعض الخصائص: أظهرها أن كليهما يوجد في السرد كمفاصل رابطة للتحولات الكبرى في مجرى القصة، وربما تداخلت الرؤيتان بحيث يصعب الفصل بينهما، وتمييز إحداهما من الأخرى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٥) وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) ﴾ ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢١) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢) وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ

نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧) ﴾ ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) ﴾ الشيء الوحيد الفاصل بينهما هو المنظور، إن كان خارجيا فالرؤية محايدة، وإن كان داخليا- لفاعل موجود في السرد- فالرؤية ذاتية.

ولنتابع الآن الرؤية السردية للوحدات السردية، التي تتوزع عليها قصة يوسف عليه السلام:

١- الرؤيا (٤- ٦): يتم تقديمها داخليا بأصوات شخصيات السرد (يوسف الصبي وأبوه) وفيها يتم التركيز- لا على الرؤيا نفسها، التي يحكيها يوسف في إيجاز شديد لأبيه، بل- على إخوة يوسف وموقفهم تجاهه. فمن وجهة نظر الأب نرى جانب الكراهية من

إخوة يوسف لأي خير يأتيه، وليس ذلك عن أصالة فيهم- حب الأب لأبنائه- بل لأن الشيطان عدو الإنسان الأول لن يترك سبيلا لإيقاع العداوة والحسد من إخوته له إلا سلكه. فخرج بذلك القصد- عن أن يكون كشفا لنفوس إخوة يوسف- لأن يكون كشفا لضعف النفس البشرية بعامة، أمام غواية الشيطان. وبعد ذلك يتم التركيز على دلالة الرؤيا، ومن ثم على نعمة الله على يوسف، وعلى أبويه من قبل إبراهيم وإسحاق.

٢- حسد الإخوة (٧- ١٨): في هذه الوحدة المؤطرة بالرؤية المحايدة، نجد العرض فيها يأتي أساسا بصوت الإخوة أنفسهم، يفكرون بعقل الشطان، ويتحدثون بلسانه ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) ﴾ متوسلين إلى الخير غيرَ المؤكد بالشر المؤكد. وفي هذه الوحدة نجد كذلك قلق الأب على ابنه معروضا بصوت الأب نفسه ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) ﴾ ونجد رحمة الله بيوسف، حيث لم يتركه يقاسي وحشة الجب بل أوحى إليه ما خفف عنه تلك الوحشة، وكان هذا من خلال الرؤية الذاتية ﴿

وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٥) ﴾ فكأن كل صوت في هذه الوحدة قد تكفل بعرض فعله بنفسه، في حيادية سردية.

٣- يوسف عند عزيز مصر (١٩- ٢٢): نبدأ الوحدة مع الرؤية المحايدة، وبداية التمكين ليوسف في الأرض، حيث عثر عليه السيارة، وباعوه لمصري زاهدين فيه، ونختتمها مع الرؤية الذاتية؛ تأكيدا لذلك التمكين ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢١) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(٢٢) ﴾.

٤- محنة المراودة (٢٣- ٣٤): نبدأ الوحدة الرابعة مع الرؤية المحايدة، وعرض تحولات العلاقة بين يوسف وامرأة العزيز من منظور خارجي، ينتقل إلى الداخل مع صوت الشخصيات، لكنه يتحول مرة أخرى إلى الرصد الخارجي للأحداث كما تجرى دون تدخل ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ لكن الرؤية تتحول إلى الذاتية التي لا تكتفي بالرصد بل بالوجود الفاعل في الأحداث ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) ﴾ وبذلك يتم عرض

وقعة المراودة من الداخل، ومن الخارج أيضا، بما لا يدع مجالا للشك في نقاء يوسف وبراءته، وقدر الجهد الذي بذله في سبيل الحفاظ على طهارته، مع كل ما لاقى من أغراء وتهديد. ونرى كذلك حكمة الزوج التي تمنعه من التهور في هذا الموقف الدقيق الذي رأى فيه زوجته، التي نراها هي الأخرى ولا قائد لها غير أهوائها وشهواتها. كل هذه الصور يتم التركيز عليها من الداخل حين تتكفل شخصيات السرد بالحكي، ومن الخارج من خلال الرؤية المحايدة.

٥- يوسف في السجن (٣٥- ٤٩): نبدأ الحكي مع الرؤية المحايدة، ويظل العرض داخليا بأصوات الشخصيات على طول الوحدة، والتركيز هنا على علم يوسف الذي آتاه إياه ربه- تأويل الأحاديث- ومن خلال يوسف، يجرى التركيز على وحدانية الله، التي حدث صاحبي سجنه طويلا عنها، حيث كان بصدد تأويل رؤيا كل منهما.

٦- براءة يوسف، والتمكين له (٥٠- ٥٧): نبدأ الوحدة مع الرؤية المحايدة، ونقل أصوات الشخصيات: طلب الملك ليوسف، وسؤاله النسوة، واعتراف امرأة العزيز... ومن ثم تأكيد الملك على طلبه يوسف، يستخلصه لنفسه، ويجعله- كما أراد يوسف نفسه- على خزائن الأرض. وهنا تأتي الرؤية الذاتية مؤكدة على تمام التمكين ليوسف في

الأرض ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧) ﴾.

٧- قدوم الإخوة (٥٨- ٨٣) تبدأ الوحدة مع الرؤية المحايدة، وقدوم الإخوة، وتعرف يوسف عليهم وهم له منكرون، وتظهر أصوات الشخصيات تشارك في الحكي: طلب يوسف لأخيه، ومراودة الإخوة لأبيهم عنه، ومن ثم اجتماعه بأخيه، واستبقاؤه له عنده.

٨- تأويل الرؤيا (٨٤- ١٠١) امتدادا للرؤية المحايدة- في الوحدة السابقة- تأتي هذه الوحدة الخاتمة، التي يتعرف فيها الإخوة على أخيهم ويعترفون بخطئهم، وتجتمع الأسرة كلها: الأحد عشر كوكبا، والشمس والقمر يخرون له ساجدين تأويلا للرؤيا التي جعلها الله حقا، ومن ثم تختتم كما بدأت، بالرؤية الذاتية ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٢) ﴾.

قصة سليمان عليه السلام

١- في سورة ص

هاهنا يتم الحكي من خلال الرؤية الذاتية، عن أوابية سليمان، ومن ثم يتم تقديم تفاصيل تلك الأوابية مشاركة مع الرؤية المحايدة، ونقل كلام سليمان ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ (٣٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (٤٠) ﴾ ونلاحظ هيمنة الرؤية الذاتية، ودلالتها على درجة القرب التي بلغها سليمان العبد الأواب.

٢- في سورة النمل

هاهنا أيضا نبدأ مع الرؤية الذاتية، التي تترك الحكي للرؤية المحايدة ومن ثم لشخصيات السرد؛ تعرض ملك سليمان، ودوره في الدعوة إلى الله، فيأتي المنظور خارجيا، وداخليا محيطا بجوانب هذا الملك، وعارضا سلطان سليمان الممتد، وفي هذا العرض كذلك تشارك أصوات مختلفة: من الجن، والإنس، والطير، والنمل.... ﴿ وَلقد ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) ﴾.

٣- في سورة سبأ

هاهنا يرد الحديث مرة أخرى عن ملك سليمان الذي خصه الله به، معروضا من خلال الرؤية الذاتية ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣) ﴾ ثم يتحول موضوع السرد،

من خلال الرؤية ذاتها، إلى وجهة أخرى، حين يرد الحديث عن موت سليمان، وجهل الجن بذلك، ولبثهم فيما هم فيه من عمل شاق مدة من الدهر ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إلاّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤) ﴾.

قصة ذي القرنين

وفيها تهيمن الرؤية الذاتية، بصورة واضحة، فالأمر هاهنا يختلف، إذ لا يأتي سرد القصة ابتداء، بل يأتي ردا على سؤال متحد من أهل الكتاب لمحمد ﷺ، فكان الرد عليهم معروضا جميعه من الداخل، من خلال تقنية الرؤية الذاتية، وتلك القوة المتصرفة في الأحداث بإرادتها، ووفق مشيئتها ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ ﴾(٩٩) [سورة الكهف].

قصة أصحاب الكهف

ونجد فيها كذلك هيمنة الرؤية الذاتية، والسبب هنا هو نفسه في القصة السابقة- قصة ذي القرنين- أن القصة جاءت ردا على سؤال لأهل الكتاب اختبارا لصدق نبوة محمد ﷺ، فكان الرد كاشفا عن قدرة قاهرة متصرفة ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) ﴾ فليست قصة أصحاب الكهف، مع كل ما فيها من عجائب، بأعجب آيات الله. وتستمر الرؤية الذاتية تعرض من الداخل تلك القدرة، ويستمر ضمير الجمع الدال على العظمة في توجيه الأحداث: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ ﴾ ﴿ زِدْنَاهُمْ﴾ ﴿ رَبطْنَا ﴾ ﴿ نُقَلِّبُهُمْ ﴾ ﴿ بَعَثْنَاهُمْ ﴾ ﴿أَعْثَرْنَا ﴾... ثم تأتي النقطة الأهم، في تحديد عددهم، ومدة لبثهم في الكهف ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) ﴾ فالله

هو صاحب الوحي ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) ﴾ وهو أعلم بعدتهم على وجه التحديد، ولكن هذا هو قول أهل الكتاب: ثلاثة، وخمسة، وسبعة رجما بالغيب. كما يرجمون بالغيب كذلك في تحديد مدة لبثهم في الكهف، والله تعالى وحده يعلم كم لبثوا في كهفهم ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦) ﴾ إنها الرؤية الذاتية تعرض كل هذا عرضا مستقبليا لما سيكون من أهل الكتاب، والله تعالى يضعه على لسان محمد ﷺ- عبده الذي أنزل عليه الكتاب ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا (١) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) ﴾.

قصة قارون

يبدأ الحكي مع الرؤية الذاتية، التي تعوضها الرؤية المحايدة- لعرض فتنة قارون بما أُوتي من كنوز- ونستمع إلى حوار الشخصيات ﴿

إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) ﴾.... ثم تنفرد الرؤية الذاتية لتعرض هوان قارون وما يملك، أمام تلك القدرة ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (٨١) ﴾ وتبين أن الفوز في الآخرة، لا علاقة له بالجاه والمال، وإنما هو في ترك الكبْر والاغترار بالحياة الدنيا ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) ﴾.

قصة أصحاب الجنة

نبدأ الحكي مع الرؤية الذاتية، التي تجمع في الاختبار بين كفار مكة وأصحاب الجنة ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ تعوضها الرؤية المحايدة الذاتية، التي يتم استعادة خبر أصحاب الجنة من خلالها ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانْطَلَقُوا

وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) ﴾ وهنا مع الرؤية المحايدة يأتي عرض تلاومهم وندمهم على ما كان منهم ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣) ﴾ وإن مثلهم لكفار مكة، أنعم الله عليهم بمحمد ورسالته، فكذبوه وحاربوه.

قصة ابني آدم عليه السلام

نفتتح الحكي بالرؤية الذاتية، والتأكيد على أن ما يذكر هو الحق الذي لا لبس فيه ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ ﴾ ثم تأخذ الرؤية المحايدة في إكمال الحكي، فتعرض فضيلة الخير لدى أحدهما، وروح الشر المتسلطة على الآخر، من خلال حكاية القربان المتقبّل من أحدهما،

وغير المُتقبّل من الآخر ﴿ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) ﴾ ثم يتحول الموضوع المعروض ليصير هو ندم القاتل الذي عجز أن يكون مثل الغراب فيما رأى منه ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١) ﴾ ثم تعود الرؤية الذاتية لتؤطر الحكي ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (٣٢) ﴾.

قصة صاحب الجنتين

نبدأ الحكي مع الرؤية الذاتية، ووصف العطاء الجزل الذي أُعطيه صاحب الجنتين ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا

جنتيْن مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجنتيْن ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ﴾ ومع أصوات شخصيتي السرد، ومن خلال الرؤية المحايدة، تعرض عاقبة حب الدنيا والاغترار بزينتها، والكفران بنعمة الله، وما في ذلك من خسران مبين في الدنيا والآخرة ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفرًا (٣٤) وَدخَلَ جنتهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلا (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلا إِذْ دَخَلْت جنتكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاّ بِاللَّهِ إِنْ تَرَن أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَن خَيْرًا مِنْ جنتكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (٤٣) ﴾.

قصة عيسى ابن مريم

عليهما السلام

١- في سورة مريم

نبدأ الحكي مع الرؤية الذاتية ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) ﴾ تعوضها الرؤية المحايدة، ونسمع أصوات الشخصيات، في الحوار بين مريم والملك ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ ﴾.... (٢١) ثم في كلام عيسى لها ﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢٦) ﴾ مؤكدا لها وقوف قوة قاهرة إلى جانبه، تؤيده بالمعجزات، قوة تملك الأشياء ووظائفها؛ ليسكن قلبها وتطمئن، حتى إذا أتت به قومها تحمله، كانت مطمئنة إلى رعاية الله لها ولولدها. وهنا يأتي حوار عيسى وقومه من خلال الرؤية المحايدة ﴿ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا

(٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ﴾.

٢- في سورة الأنبياء:

يأتي الحكي هاهنا من خلال الرؤية الذاتية فقط ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ءَايَةً لِلْعَالَمِينَ (٩١) ﴾.

٣- في سورة آل عمران

هاهنا تهيمن على القصة تقنية الرؤية المحايدة، ويُقدم لنا الحكي بأصوات الشخصيات، منذ أن نذرت امرأة عمران ما في بطنها لله ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) ﴾.... (٣٦) ودخول مريم في كفالة زكريا، ورؤيته ما كان منها من كرامات ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا

الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾.... (٤١) واصطفاء مريم، وتبشيرها بعيسى، ودعوة عيسى بني إسرائيل ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) ﴾..... (٥٤) وتتخللها لقطات سريعة تعرض من خلال الرؤية الذاتية، تتدخل فيها القدرة الإلهية، كإخبار محمد ﷺ أنه لم يكن ليعرف هذه القصة إلا بالوحي ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٤٤) ﴾.

خصائص الرؤية السردية في القصص القرآني

من خلال ما مر بنا نعاين هيمنة الرؤية المحايدة على الحكي في القصص القرآني، وفي هذه التقنية، يتم تنظيم الحكي من موقع خارجي،

بينما تُترك شخصيات السرد تتحدث بأصواتها دون تدخل، مما يعطي انطباعا للمتلقي بصدق ما يتلقى، حين يجد نفسه مشاركا في الحكي بوصفه مشاهدا حاضرا ومستمعا لما يجري من حوار. تتجلى هذه الرؤية في وظيفة الدعوة، من قصص الأنبياء، وما يصاحبها من جدل التكذيب، حيث الحاجة إلى معرفة التفاصيل المتلبسة بالدعوة، كعلاقة الرسول بقومه، ومنهجه في دعوتهم، وهدفه منها..... وكل هذا يجرى أمام عيني المتلقي من خلال الرؤية المحايدة، فيرى بموضوعية، وعليه من ثم أن يحكم بعقله على ما رأى، وأن يجنب كل حكم للهوى، أو للعادة.

ويظهر كذلك، وإن بصورة أقل، تقنية الرؤية الذاتية، التي تُلحق دائما بنا الفاعلين الدالة على العظمة، ومن خلالها يتم حكي الأحداث الفاصلة في القصص، تلك التي تحتاج إلى قوة قاهرة متصرفة، كالخلق، وإرسال الرسل، وإنجاء المؤمنين، وإهلاك الكافرين.... وقد رأينا مثلا في القصص الأول، حيث تبدأ قصص الأنبياء دائما مع سورة القمر، كلها بالرؤية الذاتية، تعرض نماذج لأمم كذبت قبل أمة محمد ﷺ، وكيف كان عذاب الله لهؤلاء المكذبين في الدنيا قبل الآخرة، فلتحذر أمة محمد ﷺ أن تكذب هي الأخرى بالنذير، فهي أمة كالأمم التي توالى سرد ما حاق بها من عذاب، ولعرض صور العذاب من خلال الرؤية

الذاتية أثره البين في النفس، فالمتكلم هو الفاعل، ولن يكلفه الأمر شيئا: ﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ وعاد وثمود وقوم لوط، وآل فرعون.... ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢).... إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠).... إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١).... وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ(٣٨).... كَذَبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ (٤٢) أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) ﴾.

يبقى بعد ذلك الرؤية الذاتية المحايدة، وهي تتخلل القصص القرآني، ومن اسمها فهي تجمع بين الرؤيتين السابقتين، مع غلبة الرؤية الذاتية فيها، وشكلها الأمثل، حيث ينقل الحق سبحانه وتعالى قوله من خلال ضمير العظمة الذي يأتي فاعلا في القصة والسرد على السواء ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ وهي قليلة وتأتي غالبا تمهيدا للرؤية المحايدة أوفي أعقابها.

والرؤية المحايدة الذاتية، وهي على عكس السابقة، تغلب فيها الرؤية المحايدة، وتتمثل في نقل معنى الكلام لا نصه، كما في قوله تعالى، في قصص لوط عليه السلام من سورة الحجر ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (٦٦) ﴾.

وثم ملاحظة نلفت إليها، تتمثل في تداخل الرؤيات الذي مر بنا في بعض المواضع في القصص القرآني، مثل ذلك القسم الخاص ببني إسرائيل، في قصص موسى عليه السلام، من سورتي: الأعراف (١٣٨–١٦٨) وطه (٨٠– ٩٨) فلعل هذا التداخل يأتي بقصد التوجيه النفسي للمتلقي، مما يناسب ما يؤديه هذا القسم من عرض لانحراف بني إسرائيل وفساد طبيعتهم.

الهوامش:

(١) انظر: محمد غنيمى هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٧، ص: ٥٠

(٢) انظر روجر هينكل، قراءة الرواية، ترجمة صلاح رزق، القاهرة، ط١ ١٩٩٥، ص: ٢١١

(٣) الشكلانيون الروس: نظرية المنهج الشكلي. ترجمة إبراهيم الخطيب . مؤسسة الأبحاث العربية، ط١ ١٩٨٢، ص: ٨٢

(٤) Jean Pouillon, Temps et roman, Paris, Ed. Gallimard, 1993, P. 66 – 105

(٥) Tzvetan Todorov, Les catégories du récit Littéraire , Communications n°8, éd. du Seuil, coll. Points, 1981, P. 147

(٦) ربما كان اعتماده على قاموس **Littré** حيث يحدد المعنى النحوي لمادة **mode** بأنه " اسم يعطى لأشكال الفعل المختلفة... وللتعبير عن وجهات النظر المتغايرة " هو الذي قاده إلى ما ذهب إليه، إذ إن تعريف الصيغة فيه، كما نرى، يضم أشكال الفعل، ووجهات النظر؛ فتحدث عن المظهرين معا، جامعا بينهما في مبحث واحد.

(٧) Gérard Genette, Figures III, Paris, éd. du Seuil, coll. Poétique, 1972, P. 203 ،

(٨) Ibid. P. 206 - 207

(٩) ممن سنلتقي بهم بعد جنت **Genette**: **Mieke Bal** في مقالها: **Narration et focalisation** المنشور في العدد التاسع والعشرين من مجلة **Poétique** ١٩٧٧ (١٠٧– ١٢٧) الذي تقدم فيه قراءة لتصور **Genette** السابق، ومقال آخر بعنوان **Le jeu de la focalisation** لـ **Pierre Vitaux** نشر بالمجلة نفسها تعليقا على مقال **Mieke Bal** السابق، وهذا تماما ما فعله كل من: شلوميت كنعان في كتابها التخييل القصصي، ترجمة لحسن أحمامة ١٩٩٥ و **Vincent Jouve** في كتابه

La poétique du roman, Paris, Sedes, 1999.

(١٠) وهذا بدوره يضعنا أمام قضية الالتفات في العربية، وشرطه أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائدا في الأمر نفسه إلى الملتفت عنه، ومعلوم أن للتكلم والخطاب والغيبة مقامات، والمشهور أن الالتفات هو الانتقال من أحدهما إلى الآخر، بعد التعبير بالأول.

(١١) استعملنا كلمة (الذاتية) هنا لا بمعنى (الانطباعية) وإنما بمعنى حضور الضمير الفاعل في الحكي.

(١٢) روح المعاني، دار الفكر: ١٥/ ١١٣

محاولة تجميع

وبعد، وقد وصل بنا البحث إلى نهايته، فإننا نستطيع القول إن ثمة ملاحظات توصلنا إليها بحثا عن الخصائص المميزة للقصص القرآني، وفيما يلي نستعيد أهم تلك الخصائص:

أولا- من خلال دراستنا للمتن القصصي رأينا، أن هناك قصصا يرد أكثر من مرة في مواضع مختلفة من الكتاب الحكيم، وآخر يرد ذكره مرة واحدة فقط، وأن النوع الأول يأتي في كل مرة يذكر فيها بشكل مختلف، كما رأينا في قصص: آدم، ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى... وفيها جميعا، نجد نواة وظيفية تتكرر، فيما عدا قصص آدم الذي يمثل مقدمة وسببا في وجود هذه النواة: نقرأ في ختام قصة آدم من سورة البقرة قوله تعالى ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩) ﴾ ثم تتوالى القصص بعد ذلك: يأتي الهدى من الله؛ فيتبعه الناجون، ويكذب به الهالكون. ومن ثم كانت تلك النواة الوظيفية التي انبنى عليها جميع القصص التالي:

١- الدعوة إلى عبادة الله وحده.

٢- الرفض والاستكبار.

٣- نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين.

هذه البنية تقابلنا في كل مرة في القصص المذكور، تتغير الشخصيات، بينما تظل وظائفها ثابتة: تظل الدعوة، ويظل التكذيب، وتظل العاقبة... وكأنها قصة واحدة تتكرر حلقاتها على الصورة نفسها، كلما كانت فترة نسى فيها الإنسان عداوة الشيطان، ووعيده القديم.

غير أن الهدف الذي تأتى من أجله القصة- من قصص النبي الواحد- يجعلها تختلف، في كل مرة، في بنيتها الوظيفية فيكون التركيز على وظائف دون غيرها، ويكون بحضور وظائف أو غياب أخرى؛ مما يؤثر في متتالية الوظائف؛ فيجعلها بالتالي قصة جديدة في كل مرة كما مر بنا من قبل.

وأما القصص مفرد الذكر في القرآن، فقد رأينا كيفية تماسك الوظائف فيه، تماسكا منطقيا، زمنيا في الوقت ذاته، بحيث تقوم كل

وظيفة على سابقتها وفق امتداد خطى تسلسلي، غالبا، وكل وظيفة لها دورها الذي يحدده السياق.

ثانيا- من خلال دراسة البنية الزمنية في القصص القرآني، رأينا كيف يهيمن المشهد الحواري على السرد القصصي القرآني. وكيف أنه يتكفل بعرض الأحداث الرئيسية كما رأينا في قصص الأنبياء من أن وظيفتي: الدعوة والتكذيب تأتيان دائما على هيئة مشهد حواري، وهما الوظيفتان الأكثر أهمية في القصص القرآني باعتباره وسيلة من وسائل الدعوة، وللمشهد الحواري خصائص تتمثل في التحام الزمن القصصي بالزمن السردي؛ فيصير بذلك حاضر السرد هو حاضر الأحداث، ويصبح المتلقي مشاهدا يعاين الأحداث بنفسه ويعيشها لحظة بلحظة. وقد رأينا كيف يتناوب الحذف، والإيجاز، والمشهد الوجود في القصص: الحذف يتخطى أحداثا لا يحتاجها الموقف القصصي، والإيجاز يعرض للأحداث عرضا سريعا مجملا لأهمية ذكرها في السياق ولكن في غير تفصيل، كما في وظيفة الإهلاك والإنجاء، في قصص الأنبياء، التي تأتي- غالبا- موجزة؛ فتدل من ناحية على هوان الهالكين على الله عز وجل، ومن ناحية أخرى على قدرة الله تعالى المطلقة.

أما بالنسبة لعلاقات الترتيب بين زمني القصة والسرد، فكثيرا ما تبدأ القصص باستباق، يهيئ نفس المتلقي، ويوجه توقعاته، كما رأينا في قصص آدم عليه السلام، حيث هناك الاستباق الإعلاني الذي يتصدر أكثر القصص، وفيه يخبر المولى عز وجل الملائكة بأنه سيخلق بشرا من طين، وما يلي بعد ذلك يترتب بوجه من الوجوه على هذا الاستباق، كما رأينا من رفض إبليس السجود لمخلوق طيني. وحين تبدأ قصة آدم في سورة طه باستباق داخلي عن نسيان آدم، فإن السرد يسير من ثم على هذا النحو ليذكر قصة نسيان آدم. وكما رأينا أيضا في قصص سورة القمر، التي تبدأ جميعها باستباق يحدد موضوع القصة، الذي كان دائما تكذيب قوم نبي من الأنبياء.

والاستباق المختلط في القصص القرآني له خصوصيته التي تتمثل في انفتاحه على المستقبل البعيد المتمثل في القيامة، كما في قصة آدم من سورة طه: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦) ﴾ أو كما نرى في قصة ذي القرنين من سورة الكهف: ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا

جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩) ﴾.

والاسترجاع كذلك يقابلنا في القصص القرآني، ولكن بصورة أقل من الاستباق الذي يبدأ به أكثر القصص؛ فنجد الاسترجاع مثلا مختلطا باستباق العليم في قصة هود عليه السلام من سورة هود: ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠) ﴾ وهذا الاستباق خاص بالقصة القرآنية؛ وهذا راجع أولا- لطبيعة صاحب الخطاب جل وعز عالم الغيب والشهادة؛ وثانيا- لطبيعة القصة القرآنية التي هي وسيلة رئيسية من وسائل الدعوة.

وقد لاحظنا أن القصة القرآنية، لوجودها في فضاء النص القرآني، تخضع لزمنيتين مختلفتين: زمن القصة القرآنية، وزمن النص القرآني، زمن القصة يبدأ مع الدخول الفعلي في عالمها، وزمن النص القرآني يحيط بزمن القصة، ويحتويه، ويمكن أن نعده الزمن الحاضر للسرد، أو الزمن الأول، الذي تقاس المفارقات الزمنية بالنسبة إليه؛ فالاسترجاعات تكون خارجية، حين لا تتعلق القصة المذكورة بشيء من حاضر السرد، وداخلية حين تتعلق بهذا الحاضر، كما رأينا مثلا في قصة أصحاب الجنة: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا

مُصْبِحِينَ(١٧) ﴾ أو في قصص سورة القمر: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ(٩) ﴾ وفي غيرها. والاستباقات هي الأخرى، يتحدد كونها استباقات داخلية. أو استباقات خارجية، من خلال علاقتها بالحاضر الزمني للنص.

ثالثا- من خلال دراسة الصيغة السردية في القصص القرآني، لاحظنا هيمنة صيغة المنقول المباشر، على الحكي، وهي تطبعه بطابع أمانة النقل للقول الوارد، وبهذه الصيغة ترد الوظائف المهمة في القصص: ففي قصص آدم عليه السلام، تأتي الوحدة السردية الأولى، وهي إخبار الله تعالى الملائكة بخلق آدم- دائما- في صيغة الخطاب المنقول المباشر، التي تحمل إلينا حوار الله والملائكة في هذا الشأن. ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) ﴾ ودائما يأتي الإخبار عن الخلق بضمير المفرد الغائب، ودائما بصيغة واحدة لا تتغير ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ ﴾ في سور: ص (٧١) والحجر (٢٨) والبقرة (٣٠). يلي هذه الوحدة الوحدة الثانية " سجود الملائكة وامتناع إبليس " التي تأتي بالصيغة نفسها، ودائما بضمير الجماعة الدال على العظمة، ودائما بالصيغة الواحدة التي

لا تتغير ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إبْلِيسَ ﴾ في سور: طه (١١٦) والكهف (٥٠) والإسراء (٦١) والبقرة (٣٤) وتكتمل الوحدة بالصيغة ذاتها، لتعرض طاعة الملائكة، واستكبار إبليس، وامتناعه عن السجود، ومن ثم ذلك الحوار الطويل بينه وبين الله، الذي يأتي في صيغة المنقول المباشر، لأهميته الشديدة، لا في قصة آدم فحسب، وإنما، كما قلنا من قبل، في قصة الحياة بصفة عامة.

وفي قصص الأنبياء، نجد دائما وظيفتي الدعوة والتكذيب تأتيان بهذه الصيغة (المنقول المباشر) بعد أن يتم التحضير لهما بصيغة الخطاب المسرود. ففي الأعراف ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٦٥) ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٧٣) ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٨٥) الصيغة دائما واحدة، والدعوة أيضا واحدة. وهذا أيضا ما نجده في سورة هود، وفي سورة الشعراء ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) ﴾ ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ

رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) ﴾ ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) ﴾ ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) ﴾ ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) ﴾ هذا الاتحاد في الصيغة الكلية للدعوة، بل في كلمات الدعوة، يجعلنا وكأننا أمام نبي واحد، ورسالة واحدة، وهى كذلك حقا، وما يزال قول الله تعالى لدى هبوط آدم إلى الأرض ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) ﴾ البقرة- يتردد ما دامت السماوات والأرض، وما زال الهدى يأتي من الله، فمن تبعه نجا وسلم.

رابعا- من خلال دراسة الرؤية السردية في القصص القرآني، نلاحظ هيمنة الرؤية المحايدة على الحكي، في القصص القرآني، وفي هذه التقنية، يتم تنظيم الحكي من موقع خارجي، بينما تُترك شخصيات السرد تتحدث بأصواتها دون تدخل، مما يترك انطباعا لدى المتلقي بصدق ما يتلقى، حين يجد نفسه مشاركا في الحكي بوصفه مشاهدا حاضرا ومستمعا لما يجرى من حوار. تتجلى هذه الرؤية في وظيفة

الدعوة، من قصص الأنبياء، وما يصاحبها من جدل التكذيب، حيث الحاجة إلى معرفة التفاصيل المتلبسة بالدعوة، كعلاقة الرسول بقومه، ومنهجه في دعوتهم، وهدفه منها... وكل هذا يجرى أمام عيني المتلقي من خلال الرؤية المحايدة، فيرى بموضوعية، وعليه من ثم أن يحكم بعقله على ما رأى، وأن ينحي جانبا كل حكم للهوى، أو للعادة.

ويظهر كذلك، وإن بصورة أقل، تقنية الرؤية الذاتية، التي تُلحَق دائما بنا الفاعلين الدالة على العظمة، ومن خلالها يتم حكي الأحداث الفاصلة في القصص، والتي تحتاج إلى قوة قاهرة متصرفة، كالخلق، وإرسال الرسل، وإنجاء المؤمنين، وإهلاك الكافرين... وقد رأينا مثلا في القصص الأول، حيث تبدأ قصص الأنبياء دائما مع سورة القمر، كلها بالرؤية الذاتية، تعرض نماذج لأمم كذبت قبل أمة محمد ﷺ، وكيف كان عذاب الله لهؤلاء المكذبين في الدنيا قبل الآخرة، فلتحذر أمة محمد أن تكذب هي الأخرى بالنذير، فهي أمة كالأمم التي توالى سرد ما حاق بها من عذاب. ولعرض صور العذاب من خلال الرؤية الذاتية أثره البين في النفس، فالمتكلم هو الفاعل، ولن يكلفه الأمر شيئا: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ وعاد وثمود وقوم لوط، وآل فرعون... ﴿ ففتحنا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى

الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قُدِرَ (١٢).... إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠)... إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً واحدة فكانوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١).... وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (٣٨)..... كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ (٤٢) أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣).

يبقى بعد ذلك الرؤية الذاتية المحايدة، وهى تتخلل القصص القرآني، ومن اسمها فهي تجمع بين الرؤيتين السابقتين، مع غلبة الرؤية الذاتية فيها، وشكلها الأمثل، حيث ينقل الحق سبحانه وتعالى قوله من خلال ضمير العظمة الذي يأتي فاعلا في القصة والسرد على السواء ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ وهي قليلة وتأتي غالبا تمهيدا للرؤية المحايدة أو في أعقابها.

والرؤية المحايدة الذاتية، وهي على عكس السابقة، تغلب فيها الرؤية المحايدة، وتتمثل في نقل معنى الكلام لا نصه، كما في قوله تعالى، في قصص لوط عليه السلام من سورة الحجر ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (٦٦) ﴾.

وثم ملاحظة نلفت إليها، تتمثل في تداخل الرؤيات الذي مر بنا في بعض المواضع في القصص القرآني، مثل ذلك القسم الخاص ببني إسرائيل، في قصص موسى عليه السلام، من سورتي الأعراف (١٣٨-١٦٨) وطه (٨٠- ٩٨) فلعل هذا التداخل يأتي بقصد التوجيه النفسي للمتلقي؛ مما يناسب ما يؤديه هذا القسم من عرض لانحراف بني إسرائيل وفساد طبيعتهم.

المصادر والمراجع

أولا- القرآن الكريم.

ثانيا- الكتب العربية والمترجمة:

- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٣٩.

- ابن كثير، قصص الأنبياء، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، القاهرة، دار الحديث، ١٩٨١.

- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق، على محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، ١٩٨٦.

- بيرسي لبوك، صنعة الرواية، ترجمة عبد الستار جواد، دار الرشيد للنشر، ط١، ١٩٨١.

- تزفيتان تودوروف، الأدب والدلالة، ترجمة محمد نديم خشفة، سوريا، ط١، ١٩٩٦.

- جيرار جنيت، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، ترجمة، محمد معتصم، وعبد الجليل الأزدي، وعمر حلي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧

- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، بيروت، ط٢، ١٩٨١.

- روجر هينكل، قراءة الرواية، ترجمة صلاح رزق، القاهرة، ط١، ١٩٩٥.

- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ط٢، ١٩٥٧.

- زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، طبع مكتبة مصر، بدون تاريخ.

- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٨٩.

- سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤.

- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، ط١١، ١٩٨٨.

- الشكلانيون الروس، نظرية المنهج الشكلي، ترجمة إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط١، ١٩٨٢.

- شلوميت ريمون كنعان، التخييل القصصي، الشعرية المعاصرة، ترجمة لحسن أحمامة، دار الثقافة (الدار البيضاء) ط١، ١٩٩٥.

- صلاح فضل، أساليب السرد في الرواية العربية، القاهرة، ١٩٩٥.

بلاغة الخطاب وعلم النص، الكويت، عالم المعرفة، ١٩٩٢.

- محمد سويرتي، النقد البنيوي والنص الروائي، الدار البيضاء، ١٩٩١.

- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٧.

- نبيلة إبراهيم سالم، نقد الرواية، من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة، النادي الأدبي، الرياض، ١٩٨٠.

- يمنى العيد، تقنيات السـرد الروائـي، في ضـوء المـنهج البنيـوي، دار الفارابي، بيروت، ط١، ١٩٩٠.

ثالثا- الكتب الأجنبية:

- Gérard Genette: Figures III, Paris, éd.du Seuil, coll. Poétique, 1972.

: Nouveau discours du récit, éd. du Seuil, coll.Poétique, 1983.

- Jean-Michel Adam: Le récit, Paris, Que sais-je, 1999.

- Jean Pouillon: Temps et roman, Paris, Ed. Gallimard, 1993.

- Oswald Ducrot – Jean Marie Schaeffer: Nouveau dictionnaire Encyclopédique des sciences du langage, Paris, éd. du Seuil, coll. Points, 1995.

- Roman Jakobson: Huit questions de poétique, tr. Fr. Paris, Ed. du Seuil, coll. Points, 1977 .

- Tzvetan Todorov: Qu'est-ce que le structuralisme ? tome2, Poétique, Paris, Ed. du Seuil, Coll. Points, 1968 .

- Vincent Jouve: La poétique du roman, Paris, Sedes, 1999.

- Vladimir Propp: Morphologie du conte, Traduction française, Paris, Ed.du Seuil, coll. Points, 1970.

- Yves Reuter: introduction à l'analyse du roman, Paris, Dunod, 1996.

رابعا- الدوريات العربية:

- بول بيرون، السردية، حدود المفهوم، ترجمة عبد الله إبراهيم، مجلة الثقافة الأجنبية، العدد الثاني، السنة ١٢، ١٩٩٢.

- جان إيف تادييه، الشكليون الروس، ترجمة قاسم المقداد، مجلة المعرفة، سوريا، السنة ٣٠، العدد ٣٣٢، مايو ١٩٩١.

- روجر سلفرستون، في السرد (من وجهة نظر بروب وغريماس وليفي شتراوس) ترجمة كاظم سعد الدين، مجلة الثقافة الأجنبية، العدد الثاني، السنة ١٢، ١٩٩٢.

- عبد العالي بوطيب، إشكالية الزمن في النص السردى ، مجلة فصول العدد الثانى، المجلد الثاني عشر، ١٩٩٣.

- ميشيل فوكو، البنيوية والتحليل الأدبي، ترجمة محمد الخمّاسي، مجلة العرب والفكر العالمي، بيروت، ١٩٨٨.

- ويليام هاندي، نحو نقد شكلي للرواية، ترجمة عيسى العاكوب، مجلة شئون أدبية، السنة الثانية، العدد٦، الإمارات، ١٩٨٨.

خامسا- الدوريات الأجنبية:

- Mieke Bal: Narration et focalisation, pour une théorie des instance du récit, Poétique n°29.éd. du Seuil, Paris, 1977.

- Roland Barthes : Introduction à L'analyse structurale des récits , Communications n° 8, éd .du Seuil, coll.Points,1981 .

- Pierre Vitoux: Le jeu de la focalisation, Poétique n°51. Paris, éd. du Seuil, 1982.

- Tzvetan Todorov: Les catégories du récit Littéraire, Communications n°8, éd . Du Seuil, coll. Points, 1981.

المحتويات